الفَصْلُ في خلافِ العلماءِ
في اشتقاق لفظ الجلالة

زينب بنت أسعد هاشم بن محمد سبّاك

أستاذ النحو والصرف المساعد ـ كلية التربية للبنات ـ الرياض

المقدمة

لفظُ الجلالة (الله) عَلَمٌ لا يطلق إلا على المعبود بحق، الجامع لصفات الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقي، لا إله إلا هو سبحانه. وهو الاسمُ الذي تَفَرَّدَ به اللهُ عزَّ وجلَّ، فلم يُطْلَقْ إلا عليه، ولم يجسر أحدٌ من المخلوقين أن يَتَسَمَّى به، وهذا أحدُ تأويلي قوله تعالى: ﴿هَل تعلَم لهُ سَميًّا﴾[1]، أي: مَنْ تَسَمَّى باسمه الذي هو (الله)[2].

لقد اختلف موقفُ العلماءِ من القول باشتقاق لفظ الجلالة (الله) ما بين مُؤَيِّدٍ ومُعارضٍ، حيث ذهبتْ فرقةٌ من أهل العلم إلى أن لفظَ الجلالة أعرفُ المعارف، وهو اسمٌ مرتجلٌ للعلمية غيرُ مَشتقٍّ كأسماءِ العباد، موضوعٌ له تبارك وتعالى.

وذهبتْ طائفةٌ أخرى إلى أنه مشتقٌّ. وقد نقلتْ لنا كثيرٌ من المصادر أقوالاً متباينةٌ في الأصلِ الذي اشتُقَّ منه[3]، منها ما هو منسوبٌ خطأً إلى مَنْ لم يقلْ به وتناقله عَلَمٌ عن آخر بنسبته إليه. وحذا حذوهم كثيرٌ من المتأخرين والمحدثين الذين تناولوا هذه القضية، أمثال:

١ – محمد أحمد محمد عليش (ت ١٢٩٩هـ) في كتابه (إيضاح إبداع حكمة الحكيم في بيان بسم الله الرحمن الرحيم).

٢ – محمد بن ماء العينين في مؤلفه: (نور الغسق في بيان هل اسم الجلالة مرتجل أم مشتق).

٣– د. محمد إبراهيم محمد عبدالله في كتابه (رسالة في لفظ الجلالة الله).

---

(١) سورة مريم، من الآية: ٦٥.

(٢) الجامع ١ / ١٠٢، البحر المحيط ١ / ١٤.

(٣) معالم التنزيل ١ / ٣٨، المحرر الوجيز ١ / ٦٣، الجامع ١ / ١٠٢، الدر المصون ١ / ٥٦.

وغيرهم ممن كان لهم تعليقاتٌ على هذه المسألة في حواشي بعض كتب النحو المحققة، مثل: د. محمود محمد الطناحي في تحقيقه لكتاب (أمالي ابن الشجري)، والأستاذ محمد علي النجار محقق كتاب (الخصائص)، ود. إبراهيم ابن سليمان البعيمي الذي حقق كتاب (شرح التصريف) للثمانيني.... وغيرهم وسيأتي بيان ذلك في موضعه.

وقد أورد الشيخُ محمد عبدالخالق عضيمة ما نقله البغداديُّ (ت ١٠٩٣هـ) من خلاف بعض العلماء في مذهب سيبويه في أصل لفظ الجلالة مشيراً إلى أنه ـ أي البغدادي ـ لم يحسم هذا الخلاف بالرجوع إلى كتاب سيبويه وتحكيمه في هذا النزاع (١). وعدَّ الشيخ عضيمة هذه المسألة من بعض مسائل كتاب سيبويه التي لم تخفَ عليه هو فحسب إنما خفيت على كثير من الأئمة الأعلام (٢). وبالرغم من أنه أخذَ على البغدادي عدمَ رجوعه إلى كتابِ سيبويه وتحكيمه في النزاع نجده هو نفسه يُفَسِّرُ عبارةَ سيبويه في هذه المسألة على غير وجهها.

لذا هدفَ هذا البحثُ إلى دراسةِ هذه القضية في محاولةٍ للفصل في هذا الخلاف وبيان وجه الحق فيها مدعمًا بالأدلة العلمية.

لقد جزم جمهورُ العلماءِ بأن لفظَ الجلالةِ عربيٌّ. وذهب بعضهم إلى أنه سريانيٌّ مُعَرَّبٌ، فأصله: لاها، ومعناه: ذو القدرة. وهم مما يلحقون ألفًا في أواخر الكلم، ثم عُرِّبَ بحذفِ الألف الأخيرة وإدخال (أل) عليه (٣).

(١) فهارس كتاب سيبويه للشيخ محمد عضيمة ١٤، ١٥.

(٢) المرجع السابق ١٣.

(٣) بصائر ذوي التمييز ٢/١٢، أنوار التنزيل ١/٦، عناية القاضي ١/٦٣، شرح التصريح ١/٨، شرح قواعد الإعراب لشيخ زادة ٦، تفسير أبي السعود ١/١١.
وقد عُزِيَ هذا القول إلى أبي زيد البلخي. انظر: البحر المحيط ١/١٥، الدر المصون ١/٩٥، روح المعاني ١/٥٦.

واستبعده أبو بكر الرازي (ت ٦٠٦هـ) بقوله : " قال بعضهم هذه اللفظة ليست عربية بل عبرانية أو سريانية، فإنهم يقولون : إلهًا رحمانًا ومرحيانًا، فما عُرِّبَ جُعِلَ : الله الرحمن الرحيم، وهذا بعيدٌ، ولا يلزم من المشابهة الحاصلة بين اللغتين الطعن في كون هذه اللفظة عربية أصلية، والدليل عليه قوله تعالى : ﴿ وَلَئن سألتهم من خلقَ السمواتِ والأرضَ لَيقولن الله ﴾[١]، وقال تعالى : ﴿ هل تعلم له سَمِيًّا ﴾ . وأطبقوا على أن المراد منه لفظة (الله) "[٢].

كما رَدَّهُ من جاء بعده لغرابته[٣] ولأنه لا دليل عليه، فاستعماله في غير العربية لا يقوم دليلاً؛ إذ احتمال توافق اللغات قائم، مع أنَّ قولهم : (تَأَلَّهَ) و(أَلَهَ) يأباه، على أن التَّصَرُّفَ فيه كما قيل بحذف المدة وإدخال (أل) عليه وجعله بهذه الصفة دليلٌ على أنه لم يكن علمًا في غير العربية؛ إذ اشترطوا في منع الصرف للعجمة كون الأعجمي علمًا في اللغة الأعجمية، والتَّصَرُّفُ مَضَعِّفٌ لها[٤].

وبالرغم من أَنَّ للعلماءِ أقوالاً عديدة في أصل هذه الاسم الشريف إلا أَنَّ هناك مَنْ أمسك عن القولِ تَوَرُّعًا، وقال : إن ذاتَهُ وأسماءَه وصفاته جَلَّتْ عن الفهم والإدراك[٥].

وقد أشار الزَّجَّاجُ (ت ٣١١هـ) إلى هذا عند حديثه عن البسملة في (معاني القرآن وإعرابه) حيث قال : " وأكرهُ أَنْ أَذْكُرَ جميعَ ما قاله النحويون في اسم (الله)، أعني قولنا : (الله) تنزيهًا لله عَزَّ وجَلَّ "[٦]. وبالرغم من ذلك فقد حكى

(١) سورة لقمان، الآية : ٢٥ .

(٢) مفاتيح الغيب ١ / ١٣٦– ١٣٧، وانظر المجيد في إعراب القرآن المجيد ٤٤، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١ / ٢٢ .

(٣) البحر المحيط ١ / ١٥، الدر المصون ١ / ٩٥ .

(٤) عناية القاضي ١ / ٦٣، روح المعاني ١ / ٥٧ .

(٥) بصائر ذوي التمييز ٢ / ١٢ .

(٦) ١ / ٤٣ .

قولين عن سيبويه (ت ١٨٠هـ) عن الخليل (ت ١٧٥هـ) في أصل اشتقاق لفظ الجلالة في موضع آخر من الكتاب نفسه [١]، كما ذكرهما أيضًا في مُؤَلَّفٍ آخر له مُرَجِّحًا القولَ بعدمِ اشتقاقِ لفظ الجلالة [٢].

وللوقوف على القول الراجح في أصل لفظ الجلالة لابد من عرض آراء العلماء وتحليلها.

المذهب الأول: وهو مذهب القائلين بأنه غيرُ مشتقٍّ:

ذهبتْ طائفةٌ من العلماءِ من بينهم أكثر الأصوليين والفقهاء إلى أن لفظ الجلالة (الله) اسمٌ مرتجلٌ للعلمية، غيرُ مشتقٍّ كأسماء الأعلام للعباد، وهو موضوعٌ له تبارك وتعالى. والألفُ واللام لازمةٌ له، لا لتعريف ولا لغيره، بل هكذا وُضِعَ الاسم[٣].

ومِمَّنْ ذهب إلى أنه اسمٌ جامدٌ وليس بمشتقٍّ البتَّة: الزجَّاجُ والمازنيُّ (ت ٢٤٩هـ) والسهيليُّ (ت ٥٨١هـ) - متابعًا في ذلك أستاذه أبا بكر محمد العربي (ت ٥٤٣هـ) - والرازيُّ والسمينُ الحلبي (ت ٧٥٦هـ) والفيروز أبادي (ت ٨١٧هـ)[٤].

وقد استدل بعضُهم على أنه غيرُ مشتقٍّ بما يلي:

١ - أن للفظ (الله) فضلَ مزيةٍ على (إله)؛ إذ يُعقلُ به مالا يعقلُ بإله، ولو كان الله مخففًا من إله لبقيَ على معناه. فليس أصله (إله) ولا (ولاه) ولا (لاه). وقد نقل الزجاجيُّ (ت٣٤٠هـ) هذا القول عن المازني[٥].

(١) ٥/ ١٥٢.

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى ٢٥.

(٣) معالم التنزيل ١/ ٣٨، المحرر الوجيز ١/ ٦٣.

(٤) انظر: أقوالهم بحسب ترتيبهم في الكتب التالية: تفسير أسماء الله الحسنى ٢٥، اشتقاق أسماء الله ٣٦، نتائج الفكر ٥١، مفاتيح الغيب ١/ ١٣١، الدرّ المصون ١/ ٥٦، القاموس المحيط باب الهاء فصل الهمزة، وبصائر ذوي التمييز ٢/ ١٣.

(٥) شتقاق أسماء الله ٣٦- ٣٧، مجالس العلماء ٥٦- ٥٧.

٢ – ذكر السهيليُّ أَنَّ لفظَ الجلالةِ ليس قديمًا ولكنه متقدِّمٌ على كلِّ لفظٍ وعبارةٍ؛ إذ سبقَ الأشياءَ التي زعموا أنه مشتقٌّ منها. كما أنه لو قيلَ بالاشتقاقِ فيه لتعارضتْ علينا الأقوالُ؛ فمن قائل يقول هو من (أله) إذا عبد، فالإله هو المعبود. ومن قائل يقول: من الوله، وهي الحيرة، يريد: أن العقولَ تَحَارُ في عظمته. ومن قائل يقول: إنه من (لاه) إذا علا...، وإذا تعارضت الأقوالُ لم يكن بعضُها أَوْلى من بعضٍ (١).

٣– ذكر الرازي: "أنه لو كان مشتقًا لكان معناه معنىً كليًا لا يمنع نفسَ مفهومه من وقوع الشركة فيه؛ لأن اللفظَ المشتقَّ لا يفيد إلا أنه شيء ما مبهم حصل له ذلك المشتق منه. وهذا المفهوم لا يمنع من وقوع الشركة فيه بين كثيرين..... وحينئذٍ لا يكون قولنا: (لا إله إلا الله) موجبًا للتوحيد المحض، وحيث أجمع العقلاء على أن قولنا: (لا إله إلا الله) يوجب التوحيد المحض، علمنا أن قولنا: (الله) اسمٌ علمٌ موضوعٌ لتلك الذات المعينة، وأنها ليست من الألفاظ المشتقة"(٢) وقد تابعه الفيروز أبادي(٣) في ذلك.

وقد عزا أبو المظفر السمعاني (ت ٤٨٩هـ) والبغوي (ت ٥١٦هـ) والصبان (ت ١٢٠٦هـ) إلى الخليل القول بأن لفظ الجلالة مرتجلٌ (٤). وهناك من نسبه إليه وإلى سيبويه أيضًا (٥). وفيه نظرٌ؛ فلفظُ الجلالة عندهما مشتقٌّ؛ حيث أورده الخليلُ في

(١) نتائج الفكر ٥١– ٥٢.

(٢) مفاتيح الغيب ١ / ١٣٢.

(٣) بصائر ذوي التمييز ٢ / ١٢– ١٣، وقد ذكر في القاموس المحيط في باب الهاء فصل الهمزة تحت مادة (أله) أن منه لفظ الجلالة، وأنه اختلف فيه على عشرين قولاً، أصحها أنه عَلَمٌ غير مشتق، وأصله: (إله) كفعال،..

(٤) تفسير سورتي الفاتحة والبقرة للسمعاني ١ / ٣٥٧، معالم التنزيل ١ / ٣٨، رسالة البسملة ٢٣ (أ).
وذكر ابنُ الجوزي أَنَّ القولَ بأنَّ لفظَ الجلالة ليس بمشتق إحدى الروايتين عن الخليل. زاد المسير ١ / ٨–٩.

(٥) مفاتيح الغيب ١ / ١٣١، بصائر ذوي التمييز ٢ / ١٢، وانظر تفسير التحرير والتنوير ١ / ١٦٥. =

العين تحت مادة (أله) مشيراً إلى تصاريفها وهي : التَّأَلُّه : بمعنى التَّعَبُّد . والآلهة : وهي الأصنامُ التي يعبدونها .

ويبدو أن قولَ الخليل : "وليس الله من الأسماء التي يجوز فيها اشتقاقُ فِعْلٍ كما يجوز في (الرحمن الرحيم) "[1] هو الذي دعاهم إلى نسبة هذا القول إليه، حيث تَوَهَّمُوا أنه يقصدُ بذلك أن لفظ الجلالة غيرُ مشتقٍّ . وليس الأمر كذلك؛ فمراد الخليل –كما هو ظاهرٌ من عبارته– أن (أله) هو أصلُ لفظ الجلالة (الله)، إلا أنه بعد أن أصبح لفظ (الله) علماً للخالق عزَّ وجلَّ فإنه لا يشتقُّ منه بعد انتقاله إلى العلمية .

أما سيبويه فقد نصَّ صراحةً على أنه مشتقٌّ حيث قال : "وكَأَنَّ الاسمَ والله أعلم إلهٌ، فلما أُدْخِلَ فيه الألف واللام حذفوا الألفَ وصارت الألفُ واللامُ خلفاً منها "[2] .

وقد ردَّ ابنُ عصفور (ت ٦٦٩هـ) وابنُ قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) على مَنْ أنكر الاشتقاقَ في لفظ الجلالة؛ حيث ذكرَ ابنُ عصفور أنّ حدَّ أكثرِ النحويين للاشتقاق الأصغر بأنه : (إنشاء فرع من أصل يدل عليه)، ليس بعامٍّ للاشتقاق الأصغر؛ لأنه قد يقال : (هذا اللفظُ مشتقٌّ من هذا) من غير أن يكونَ أحدُهما مُنْشَأً من الآخر، وذلك إذا كان تركيبُ الكلمتين واحداً، ومعنياهما متقاربين، نحو ما ذهب إليه أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) في أحد قوليه في (أولق) من أنه مشتقٌّ من : وَلَقَ يَلِقُ، إذا أسرع، وذلك لأن الأولقَ : الجنون، وهو مما يُوصف بالسرعة . فلما كانت حروفُ

= أما ابن يعيش فقد عزا لسيبويه ثلاثة أقوال؛ حيث ذكر أنه ذهب في بعض أقواله إلى أنه اسمٌ مرتجلٌ للعلمية غيرُ مشتقٍّ، كما أن له في اشتقاقه أيضاً قولين: أحدهما أنه من (إله)، والآخر أنه من (لاه) . انظر شرح المفصل ١ / ٣ .

(١) كتاب العين مادة (أ ل هـ) .

(٢) الكتاب ٢ / ١٩٥ .

الكلمتين واحدةً، ومعنياهما متقاربين؛ لأن الجنون ليس السرعة في الحقيقة، بل يقرب معناها من معنى السرعة، جعل الأولق مشتقًا من (ولق)، لا بمعنى أن الأولق مأخوذٌ من ولق.

فإن قيل: كيف يجوز أن تقول: (هذا اللفظُ مشتقٌّ من هذا اللفظ) وأحدُهما ليس بمأخوذٍ من الآخر، وقولك (مشتق) يعني أَخْذَ أحدهما من صاحبه؟. فالجواب: أنَّ هذا على طريق المجاز، كأنهما لاتِّحادِ لفظيهما وتقاربِ معنييهما قد أُخِذَ أحدُهُما من الآخر، كما تقول في الشخصين المتشابهين: هذا أخو هذا، تشبيهًا لهما بالأخوين.

فلما خَفِيَ هذا الوجهُ من الاشتقاقِ على بعضهم ردُّوا قولَ مَنْ زعمَ أنَّ اسمَ الله تعالى مشتقٌّ من الوله أو من غير ذلك؛ لأن لفظَ الجلالة متقدمٌ، أما الوله ونحوه فلفظٌ مُحْدَثٌ، والمشتقُّ منه قبلَ المشتقِّ، فيلزم على هذا أن يكون المحدثُ قبل المُتَقَدِّمِ، وذلك خَلْفٌ. ولو عُلِمَ أنه قد يُقَال: (هذا اللفظُ مشتقٌّ من هذا) وإنْ لم يكن مأخوذًا منه لم يُنْكِرْ ذلك.

وخَلَصَ ابنُ عصفور إلى أَنَّ الحدَّ الجامعَ للاشتقاقِ الأصغرِ هو: (عَقْدُ تصاريفِ تركيبٍ من تراكيبِ الكلمةِ على معنى واحدٍ أو على معنيين متقاربين)[1].

كما ردَّ ابنُ قَيِّمِ الجوزية على ما ذكره السهيليُّ وشيخُهُ ابنُ العربي من أن لفظَ (الله) غيرُ مشتقٍّ – لأن الاشتقاقَ يستلزم مادة يُشْتَقُّ منها، واسمُهُ تعالى قديمٌ، والقديمُ لا مادةَ له، فيستحيل الاشتقاق – بقوله: "لا ريبَ أَنَّه إنْ أُريدَ بالاشتقاقِ هذا المعنى وأنه مستمدٌّ من أصلٍ آخر فهو باطلٌ. ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى ولا أَلَمَّ بقلوبهم، وإنما أرادوا أنه دالٌّ على صفةٍ له تعالى؛ وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى كالعليم والقدير والغفور والرحيم والسميع والبصير،

(١) الممتع في التصريف ١ / ٤١- ٤٣.

فإن هذه الأسماءَ مشتقةٌ من مصادرها بلا ريب، وهي قديمةٌ، والقديمُ لا مادةَ له، فما كان جوابكم عن هذه الأسماءِ فهو جوابُ القائلين باشتقاق اسمِه تعالى.

ثم الجوابُ عن الجميع أننا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها مُلاقِيَةٌ لمصادرهَا في اللفظ والمعنى لا أنها متولِّدةٌ منها تولُّدَ الفرعِ من أصلِه. وتسميةُ النحاةِ للمصدر والمشتقِّ منه أصلاً وفرعًا ليس معناه أَنَّ أحدَهُما تَوَلَّدَ من الآخرِ، وإنما هو باعتبارِ أن أحَدهما يَتَضَمَّنُ الآخر وزيادة.

وقول سيبويه: "إن الفعلَ أمثلةٌ أُخِذَتْ من لفظ أحداث الأسماءِ"(١). هو بهذا الاعتبار؛ لا أَنَّ العربَ تكلَّموا بالأسماء أولاً ثم اشْتَقُّوا منها الأفعالَ. فإن التخاطبَ بالأفعالِ ضروريٌّ كالتخاطبِ بالأسماءِ لا فرقَ بينهما. فالاشتقاق هنا ليس هو اشتقاقًا ماديًا، وإنما هو اشتقاقُ تلازُمٍ، سمي المتَضَمِّن -بالكسر- مشتقًا، والمتَضَمَّن -بالفتح- مشتقًا منه، ولا محذورَ في اشتقاقِ أسماءِ الله تعالى بهذا المعنى"(٢).

وقد أشار ابنُ عاشور (ت ١٢٨٤هـ) إلى أنه قد ذُكرتْ أقوالٌ في أصل لفظ الجلالة منها؛ أنه عَلَمٌ وُضِعَ لاسم الجلالة بالقصد الأَوَّلِيِّ من غير أخْذٍ من (أَلِهَ) وتصييره (الإله)، فتكون مقاربته في الصورة مقاربةً اتفاقيةً غيرَ مقصودةٍ، وقد قال بهذا جماعةٌ منهم: الزَّجَّاجُ ونُسب إلى الخليلِ وسيبويه. وَوَجَّهَهُ بعضُ العلماء بأنَّ العربَ لم تهملْ شيئًا حتى وضعتْ له لفظًا، فكيف يَتَأَتَّى منهم إهمالُ اسمٍ له تعالى لتجري عليه صفاته (٣).

(١) الكتاب ١/١٢.

قال السيرافي: "يعني أن هذه الأبنيةَ المختلفة أخذت من المصادر التي تحدثها الأسماء، وإنما أراد بالأسماء أصحاب الأسماء، وهم الفاعلون" شرح كتاب سيبويه ١/٥٤ - ٥٥.

(٢) بدائع الفوائد ١/٢٢- ٢٣.

(٣) فسير التحرير والتنوير ١/١٦٥.

المذهب الثاني: وهو مذهب القائلين باشتقاقه:

وفي الأصل الذي اشتُقَّ منه قولان:

الأول: أن أصله (لاه)، وهو مصدُر لاه يلوه لَوَهًا أو لَوهًا، فألفُه منقلبةٌ عن واوٍ؛ لأنها متحركةٌ وما قبلها مفتوحٌ. وقيل: معناه احتجب؛ لاحتجابه تعالى عن العقول والعيون[1]. وفي اللسان: "حكي عن بعضهم: لاه اللهُ الخلقَ يَلُوهُهُم: خلقَهم، وذلك غير معروف"[2].

وقيل: إن (لاه) مصدُر لاه يليه لَيَهًا أو لَيهًا، فصارت ياؤه ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها. ومعناه كما في الصِّحاح: تَسَتَّرَ[3]، وقيل: معناه علا وارتفع[4].

و(لاه) اسمٌ وإن كان فيه معنى الفعل. والألف على هذين القولين أصلية، ووزنه عليهما فَعَل أو فَعِل - بفتح العين أو كسرها - ثم أُدْخِلَتْ عليه الألف واللام، فوجبَ الإدغامُ لسكونِ الأول من المثلين، فصار لفظه (الله).

واستدل بعضُهم على أنَّ ألِفَهُ منقلبةٌ عن ياءٍ بقولِ بعضِ العرب: لَهْيَ أبوكَ -

(١) الدر المصون ١/٥٦، بصائر ذوي التمييز ٢/١٣.

(٢) مادة (ل و ه). وأضاف الفيروز أبادي أنه قيل: هو من لاه يلوه، أي: اضطرب؛ لاضطراب العقول والأفهام دون معرفة ذاته وصفاته، أو من لاه البرقُ بلوه: إذا لمعَ وأضاء؛ لإضاءة القلوب ولمعانها بذكره تعالى ومعرفته. انظر: بصائر ذوي التمييز ٢/١٣، ١٤.

(٣) مادة (ل ي هـ).

(٤) نتائج الفكر ٥٢، الدر المصون ١/٥٦، قال الفيرور أبادي في بصائر ذوي التمييز ١/١٣: "لارتفاعه تعالى عن مشابهة المثليّات".

وذكر البيضاويُّ في أنوار التنزيل ١/٦ أنه قيل: إن أصلَ لفظ الجلالة (لاه)، وهو مصدر لاه يليه ليهًا ولاهًا، إذا احتجب وارتفع؛ لأنه سبحانه وتعالى محجوبٌ عن إدراك الأبصار، ومرتفعٌ عن كل شيء مما لا يليق به. وتابعه في ذلك شيخ زاده في شرح قواعد الإعراب ٦.

وقد عَقَّبَ عليه الشهابُ الخفاجيّ بقوله: "في بعض كتب اللغة: لاه يليه ليهًا: إذا احتجب، ولاه يلوه: إذا ارتفع. والمصنف رحمه الله جعلهما -أي الارتفاع والاحتجاب- معنيين من مادة واحدة، وبَيَّنَهما على طريق اللف والنشر". عناية القاضي ١/٥٦.

يريدون: لله أبوك-، فظهرت الياءُ التي هي عينُ الكلمةِ لما نُقِلَتْ إلى موضع اللام. قال سيبويه: "وقال بعضُهم: لَهْيَ أبوك، فقلبَ العينَ وجعلَ اللامَ ساكنةً، وتركوا آخر الاسمِ مفتوحًا كما تركوا آخرَ (أينَ) مفتوحًا[1]. وإنما فعلوا ذلك به حيث غَيَّروه لكثرته في كلامهم، فَغَيَّرُوا إعرابَهُ كما غَيَّرُوه "[2].

وهناك قولٌ آخر وهو أن لاه مقلوبٌ من الوَلَهِ ووزنه (عَفَل)، وأصله (وَلَهٌ) مقلوبٌ إلى لَوَهٍ، ثم قلبت الواوُ ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار: (لاهًا)[3]. وقد عزا البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) هذا القول إلى ابن خروف[4] (ت ٦٠٩هـ، وقيل

(١) اختلف النحاةُ في سبب بناء (لهي) من قولهم: (لَهْيَ أبوك)؛ حيث ذكر أبو علي الفارسي أنه بُني لتضمنه معنى حرف التعريف، لأنهم أرادوا به: لله أبوك، فلما لم يذكر لام المعرفة مع أن الاسم ضمن معناها بُني كما بُني (أمس) لما تضمن معنى الألف واللام، إلا أنه بني على الفتح؛ لأن الفتحة في الياء أسهل من الكسرة، وحَسَّنَ ذلك أن الهاء أصلها الحركة، وإذا كان أصلها الحركة ضعف تحريك الياء بالكسر، كما أنه إذا تحرك ما قبلها ضعف ذلك فيها. انظر المسائل الحلبيات ١٠٢، المسائل البصريات ٢/٩١٠.

وقد وافقه الثمانيني والقيسي وابن الشجري وابن يعيش في أن لَهْيَ مبنية لتضمنها معنى حرف التعريف. انظر المشكل ١/٦٧، شرح التصريف ٣٩٨، أمالي ابن الشجري ٢/١٩٧، شرح الملوكي ٣٦١، وشرح المفصل ٨/٥٤.

وضَعَّفَ ابنُ مالك قولَ أبي علي الفارسي حيث قال: "وهو عندي قولٌ ضعيفٌ؛ لأن الألف واللام في (الله) زائدة مع التسمية، مستغنى عن معناها بالعلمية، فإذا حذفت لم يبق لها معنى يتضمن. والذي أراده أنَّ لَهْيَ مبنيٌ لتضمنِ معنى حرفِ التعجب وإنْ لم يكن للتعجب حرفٌ موضوعٌ، كما قال الجمهورُ في اسم الإشارة إنه مبنيٌ لتضمن معنى حرفِ الإشارة، ومرادهم بذلك أن الإشارةَ معنى من المعاني النسبية الحقيقة بأن يوضعَ لها حروف، فاستغنى باسم الإشارة عن وضع حرف الإشارة، فلذلك قيل في حَدِّ اسم الإشارة: إنه الاسمُ الموضوعُ لمسمى وإشاره إليه. فكما بُني اسمُ الإشارة لتضمن معنى الإشارة بُني (لَهْيَ) لتضمن معنى التعجب، إذ لا يقع (لَهْيَ) في غير تعجب، كما لا يقع اسم الإشارة في غير إشارة. وهذا مع بنائه في موضع جر باللام المحذوفة، واللام والمجرور بها في موضعِ رفعٍ بمقتضى الخبرية، و(أبوك) مرفوع بالابتداء". شرح التسهيل ١/١٧٩، ١٨٠.

(٢) الكتاب ٣/٤٩٨.

(٣) شرح الملوكي ٣٦١.

(٤) عناية القاضي ١/٥٦.

٦٠٥، أو ٦١٠..).

ومما استدلوا به على أنَّ أصلَ لفظ الجلالة هو (لاه) قولهم: لاهِ أبوك، يريدون: لله أبوك، وقول ذي الإصبع العدواني:

لاهِ ابنُ عَمِّكَ لا أَفْضَلْتَ في حسبٍ ... عَنِّي ولا أنت ديَّاني فَتَخْزُوني[١]

أي: لله ابنُ عمك.

وقول الأعشى:

كَحَلْفَةٍ من أبي رياحٍ ... يسمعُها لاهُهُ الكُبارُ[٢]

(١) قائله الحارث بن محرث المعروف بذي الإصبع العدواني، وهو من قصيدة طويلة وردت في المفضليات ١٦٠. قال التبريزي في شرح اختيارات المفضليات ٢ / ٧٥٠: "أراد: (لله ابنُ عمك)، فأضمر اللام. و(ابن عمك) مبتدأ، والكلام تعجبٌ وتفخيمٌ".

ورد البيت في: مجالس العلماء ٥٧، اشتقاق أسماء الله ٣٤، أمالي القالي ١ / ٢٥٥، الخصائص ٢ / ٢٨٨، المشكل ١ / ٦٧، أمالي ابن الشجري ٢ / ١٩٥، ٦١١، شرح المفصل ٨ / ٥٣، ٩ / ١٠٤، المقرب ١ / ١٩٧، الجامع ١ / ١٠٢، اللسان (لوه). تفسير القرآن العظيم ١ / ٣٢، خزانة الأدب ٧ / ١٧٣، ١٠ / ٣٤٤.

(٢) الديوان ٧٢.

وفي البيت روايات أخرى، منها:

(بحلفةٍ من أبي رياحٍ)

(كدعوةٍ من أبي رياحٍ)

(يشهدها لاهه الكبار)

(يسمعها لاهُمُ الكبار)

(يسمعها اللهم الكبار)

(يسمعها الواحد الكبار)

وهو من شواهد اشتقاق أسماء الله ٣٣، تهذيب اللغة (الله والإله). أمالي ابن الشجري ٢ / ١٩٧، مفاتيح الغيب ١ / ١٣٧، شرح المفصل ١ / ٣، شرح الملوكي ٣٦١، أنوار التنزيل ١ / ٦، اللسان (أله) و(لوه). البحر المحيط ١ / ١٥، الدر المصون ١ / ٥٩، بصائر ذوي التمييز ٢ / ١٥، خزانة الأدب ٧ / ١٧٦، روح المعاني ١ / ٥٦.

ولو بحثنا في المصادر التي بين أيدينا عن أصحاب هذا القول ـ وهو أنَّ (لاهًا) أصلُ لفظ الجلالة ـ لوجدناها انقسمت إلى ثلاثة أقسام:

– فقد أوردتْ طائفةٌ من العلماءِ هذا القول بدون نسبته إلى أحدٍ، ولعلهم لم يكونوا على يقينٍ بأنَّ أحداً من العلماءِ ذهب إليه، ومن هؤلاء: أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)، والقيسى (ت٤٣٧هـ)، وابن عطية (ت٥٤٦هـ)، وأبو البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ)، والسهيلي، والعكبري (ت ٦١٦هـ)، والبيضاوي، والحسن ابن محمد النيسابوري (ت ٧٢٨هـ)، وأبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، والسمين الحلبي، وشيخ زاده (ت ٩٥٠هـ)، وأبو السعود (ت ٩٥١هـ)، والألوسي (ت ١٢٧٠هـ). وتابعهم الشيخ محمد عليش[١].

– وعزا بعضهم هذا القول إلى البصريين بعامة، ومن هؤلاء: الرازي، والفيروز أبادي وتابعهم الشيخ محمد بن ماء العينين[٢].

– ونسب كثيرون القولَ بأنَّ أصلَ لفظ الجلالة (لاهٌ) إلى الخليلِ وسيبويه على أنه أحدُ قوليهما، وتابعهم في ذلك كثيرٌ من المحدثين.

ويبدو –والله أعلم– أن الزجاج هو أوَّلُ من نسب هذا القولَ إلى الخليل وسيبويه، حيث قال: "قال سيبويه: سألتُ الخليلَ عن هذا الاسمِ فقالَ: الأصلُ فيه (إلهٌ)، فأُدخلتِ الألفُ واللامُ بدلاً من الهمزة. وقال مرةً أخرى: الأصلُ (لاه)، وأُدخلتِ الألفُ واللامُ لازمةٌ"[٣].

(١) انظر مؤلفاتهم بحسب ترتيبهم: إعراب القرآن للنحاس ١/١٦٧، المشكل ١/٦٧، المحرر الوجيز ١/٦٣، البيان ١/٣٣، نتائج الفكر ٥٢، إملاء ما من به الرحمن ١/٥، أنوار التنزيل ١/٦، غرائب القرآن ورغائب الفرقان بحاشية جامع البيان ١/٤٥، تفسير البحر المحيط ١/١٤– ١٥، الدر المصون ١/٥٦، شرح قواعد الإعراب ٦، تفسير أبي السعود ١/١٠، روح المعاني ١/٥٦، إيضاح إبداع حكمة الحكيم في بيان بسم الله الرحمن الرحيم ٢٠.

(٢) مفاتيح الغيب ١/١٣٧، بصائر ذوي التمييز ٢/١٥، نور الغسق ١٤٠– ١٤١.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٥/١٥٢.

وكان لعبارة الزجاج السابقة أثرها الواضح فيمن جاء بعده، ومن هؤلاء:

الزجاجي حيث تَأَثَّرَ بما ذكره أستاذُه الزجَّاجُ، فنسبَ إلى سيبويه القولَ بأن (لاهًا) هو أصلُ لفظِ الجلالةِ على أنه أحدُ قوليه(١).

كما ذكر ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) - في رده على أبي علي الفارسي- بأنه قد صحَّ القولان عن سيبويه ولا ننكر أن ما حكاه الزجاج عن سيبويه عن الخليل قد ثبت عنده برواية له عن سيبويه من غير جهة كتاب سيبويه(٢).

كذلك نص الجوهريُّ (ت ٣٩٦هـ) والفيروز أبادي على أن سيبويه قد أجاز أن يكون أصلُ لفظ الجلالة (لاهًا)(٣). وقد نقل عن الجوهريِّ هذا القولَ ابنُ منظور (ت ٧١١هـ) والصفاقسيُّ (ت ٧٤٢هـ) وابنُ عاشور(٤).

ونسب الثمانينيُّ (ت ٤٤٢هـ)، وابنُ سيدة (ت ٤٥٨هـ)، وأبو القاسم الأصبهاني (الملقَّب بقوام السنة ت ٥٣٥هـ)، وابن الشجري (ت ٥٤٢هـ) هذا القول إلى سيبويه على أنه أحد قوليه(٥). ونسبه إليه ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) على أنه أحد أقواله الثلاثة(٦).

(١) اشتقاق أسماء الله ٣٣.

(٢) انظر الخلاف بين ابن خالويه والفارسي فيما نقله الزجاج عن سيبويه في أصل لفظ الجلالة في خزانة الأدب ١٠/ ٣٥٦ وما بعدها.

(٣) الصحاح (أ ل هـ). القاموس المحيط باب الهاء فصل اللام.

(٤) اللسان (ل و ه) المجيد في إعراب القرآن المجيد ٤٣، تفسير التحرير والتنوير ١/ ١٦٥.

(٥) انظر مؤلفاتهم حسب ترتيبهم: شرح التصريف ٣٩٧، المخصص ١٧/ ١٣٨، إعراب القرآن ٩، أمالي ابن الشجري ١/ ١٩٦.

كما نسب أبو القاسم الأصبهاني إلى الفراء القول بأن أصل لفظ الجلالة مشتق من لاه يليه ليها إذا استتر. انظر إعراب القرآن ٨.

(٦) شرح المفصل ١/ ٣، أما في شرح الملوكي فقد ذكر أن لسيبويه قولين في أصل لفظ الجلالة وهو أنه مشتق منه (إلاه) أو من (لاه) ٣٥٦- ٣٦١.

وذكر القرطبيُّ (ت ٦٧١هـ) وابنُ كثير (ت ٧٧٤هـ) أن سيبويه روى عن الخليل أن أصله (إله)، واختيار سيبويه أن أصله (لاه)[١].

هذا وقد زعم ابنُ الشجريِّ أن سيبويه استشهد ببيتي أبي الإصبع العدواني والأعشى على أن (لاه) أصلُ لفظ الجلالة حيث قال: "والذي ذهب إليه سيبويه من أن أصل هذا الاسم: إلاه، قول يونس بن حبيب وأبي الحسن الأخفش وعلي بن حمزة الكسائي ويحيى بن زياد الفراء وقطرب بن المستنير، وقال بعد وفاقه لهذه الجماعة: وجائزٌ أن يكونَ أصلُهُ: لاه، وأصل لاه: لَيَهَ على وزن فَعَل، ثم أُدْخِلَ عليه الألفَ واللامُ، فقيل: الله. واستدل على ذلك بقول العرب: لَهْيَ أبوك، يريدون: لاه أبوك، قال: فتقديره على هذا القولِ: فَعَل، والوزن وزن بابٍ ودارٍ. وأنشد للأعشى:

كحَلْفَةٍ من أبي رياحٍ يَسْمَعُها لاهُهُ الكُبارُ

ولذي الإصبع العدواني: (لاهِ ابنُ عمك) البيت. انتهى كلام سيبويه"[٢].

وزعم القرطبي أيضًا أن سيبويه استشهد ببيت ذي الإصبع العدواني على أن أصل لفظ الجلالة (لاه)[٣].

وليس الأمر كما ذكراه؛ لأن البيتين ليسا من شواهد كتاب سيبويه[٤]، كما أن سيبويه لم ينص على جواز كون (لاه) أصل لفظ الجلالة، وسيأتي بيانه.

أما ابن جني فنجده يذكرُ في أكثر من موضع في الخصائص أَنَّ لفظَ الجلالة في

(١) الجامع ١/١٠٢، تفسير القرآن العظيم ١/٣٢.

(٢) أمالي ابن الشجري ١/١٩٦، ١٩٧.

(٣) قال القرطبي في الجامع ١/١٠٢: "وقيل أصل الكلمة (لاه)،.... وهذا اختيار سيبويه، وأنشد: (لاه ابن عمك.....)"

(٤) قال البغدادي في الخزانة ٢/٢٦٧، ٧/١٧٦ معقبًا على ما ذكره ابن الشجري: "البيتان اللذان أوردهما ليسا في كتاب سيبويه".

أحد قولَيْ سيبويه مما حُذفتْ فاؤه، دون أَنْ يشير إلى قوله الآخر في هذه المسألة(١)، ومثله أبو حيان(٢).

ولم أجد ـ فيما بين يدي من مصادر ـ مَنْ رَدَّ ما حكاه الزجاجُ عن سيبويه عن الخليل في أصل لفظ الجلالة إلا أبا عليٍّ الفارسي ـ وفقًا لما نقله عنه البغدادي ـ؛ حيث عدَّ هذا الذي حكاه سهوًا منه؛ لأن سيبويه لم يحكِ عن الخليل أن (الله) أصله (إله) ولا قال: سألتُهُ عنه، ولا حكى عن الخليل القول الآخر الذي قاله أنه (لاه).

وقد ردَّ ابن خالويه على أبي علي الفارسي بأنه قد صح القولان عن سيبويه، ولا ننكر أن تكون هذه الحكاية قد ثبتت عند أبي إسحاق الزجاج برواية له عن سيبويه من غير جهة كتابه، فلا يكون حينئذٍ سهوًا. وقد وقعت إلينا مسائلُ جَمَّةٌ روى سيبويه الجوابَ فيها عن الخليلِ، ولم يُضَمِّنْ كتابَهُ شيئًا من ذلك.

وردَّ عليه الفارسيُّ بأنَّ الذي يحكي هذه الحكايات عن سيبويه عن الخليل مُتَقَوِّلٌ كذَّابٌ، ومُتَخَرِّصٌ أَفَّاكٌ... ، ولم يقع إلينا من الحكايات عن سيبويه ما لم يثبت في كتابه إلا حكايتان أو ثلاث، وهذه ليست منها. والذين يُحكى عنهم عن الخليلِ ممن اخْتُصُّوا بملازمته وصحبته.

وقد ذكر أبو بكر الزبيدي (ت ٣٧٩هـ) في ترجمة علي بن نصر الجَهْضَمِيِّ (ت ١٨٧هـ) أَنَّ ابنَهُ نصر بن علي سمعَ الأخفش يقول: نفذَ من أصحاب الخليلِ في النحو أربعةٌ: سيبويه، والنَّضْر بن شُمَيْل (ت ٢٠٣ أو ٢٠٤هـ)، وعلي بن نصر، ومُؤَرِّج السدُوسِي (ت ١٩٥هـ)(٣).

(١) ١/ ٢٢٥، ٢/ ٢٨٨، ٣/ ١٥٠.

(٢) ذكر في المبدع في التصريف ص٢٤٠، أن الهمزة حذفت من إله في قولنا (الله) في أحد قولي سيبويه، ولم يشر إلى القول الآخر، وتابعه في ذلك محقق الكتاب د. عبدالحميد السيد طلب.

(٣) طبقات النحويين واللغويين ٧٥.

وانظر الخلاف بين الفارسي وابن خالويه في خزانة الأدب ١٠/ ٣٥٦ وما بعدها.

ولو نظرنا فيما ذكره المحدثون في هذه المسألة -في المراجع التي بين أيدينا- لوجدناهم قد ساروا على نهج الزجاج ومَنْ تابعه في أن لفظ الجلالة عند سيبويه له اشتقاقان؛ فهو من (إله) أو من (لاه)، ومن هؤلاء:

- الشيخ محمد عبدالخالق عضيمة الذي أشار إلى أَنَّ البغداديَّ (ت ١٠٩٣هـ) قد نقلَ الخلافَ بين أبي علي الفارسي وابنِ خالويه فيما حكاه الزجاج عن سيبويه في أصل لفظ الجلالة، إلا أنه أخذ عليه عدم حسمه هذا الخلاف بالرجوع إلى كتاب سيبويه وتحكيمه في هذا النزاع، حيث عَقَّبَ على ما نقله البغدادي بقوله: " القارئُ لهذا الكلامِ يقعُ في حيرةٍ، وهو في حاجة إلى مَنْ ينقذُه من هذه الحيرة، فَيُبَيِّن له: هل قال سيبويه بالاشتقاقين أو لا؟ والبغداديُّ مع غزارةِ علمه وسعة اطلاعه روى لنا هذه المعركةَ الحاميةَ ولم يحسمْ هذا الخلافَ بالرجوع إلى كتاب سيبويه وتحكيمه في هذا النزاع.

وأقولُ: إن سيبويه ذكرَ الاشتقاقين؛ ذكر اشتقاقه لفظِ الجلالةِ من (أله) في الجزء الأول.....، ثم ذكر اشتقاقَهُ من (لاه) في الجزء الثاني... عجيبٌ أمر سيبويه! اشتقاقان للفظٍ واحدٍ، أما كان الأجمل أن يذكرهما في موضعٍ واحدٍ في الجزء الأول أو في الثاني، ولا يباعد ما بينهما فيترك العلماءَ يختلفون وينال بعضُهُم من بعض " (١).

وبناءً على ما استقر لديه من أن لسيبويه قولين في المسألة فقد عقب على ردِّ أبي علي الفارسي على ما حكاه الزجاج وعلى ابن خالويه بقوله: "وأعجب بعد هذا لجرأة أبي الفارسي في المناقشة "(٢).

(١) فهارس كتاب سيبويه للشيخ محمد عضيمة ١٤، ١٥. وانظر أيضًا تعليقه في الحاشية رقم (٢) من كتاب المقتضب للمبرد ٤ / ٢٤٠، ٢٤١.

(٢) حاشية رقم (٢) في المقتضب ٤ / ٢٤٠.

وكذلك ذكر الشيخ عضيمة في مقدمته لكتاب المقتضب أَنَّ المبردَ لا يتعرض في بعض المسائل في المقتضب لكلام سيبويه الذي تناوله بالنقد، ومثَّل لذلك بأن لسيبويه رأيين في اشتقاقِ لفظِ الجلالة، وأن المبرد ردَّ عليه بأن القول الثاني يعارض الأول، واكتفى في المقتضب بذكر رأي سيبويه الأول (١)؛ وهو أنَّ أصلَ لفظ الجلالة هو إِله.

– د. محمود محمد الطناحي الذي نقل عن الشيخ محمد عضيمة أن لسيبويه رأيين في اشتقاق لفظ الجلالة، الأول أنه من (إله)، والثاني أنه من (لاه)(٢).

– الأستاذ محمد علي النجار محقق كتاب الخصائص، فبعد أن أشار ابنُ جني (ت ٣٩٢هـ) إلى مذهب سيبويه في هذه المسألة بقوله: " وقد حُذفت الفاءُ همزة وجُعلت ألفُ (فعال) بدلاً منها، وذلك قوله:

* لاه ابنُ عمك لا أفضلت في حسبٍ *

في أحدِ قولي سيبويه " (٣).

عَقَّبَ الأستاذُ محمد النجار على ذلك بأنه –أي سيبويه– " يريد بذلك أن لفظَ الجلالةِ من (أله)، والقول الآخر أنه من (ليه)، يقال: لاه يليه: إذا تستر. والقول الأول في الكتاب... ، والقول الآخر رواه عنه الزجاج وليس في الكتاب " (٤).

– د. إبراهيم بن سليمان البعيمي محقق كتاب (شرح التصريف) للثمانينيّ، فقد مَثَّلَ الثمانينيُّ على حذفهم الهمزة وهي فاء بقولهم (إلاه)، ثم ذكر أن سيبويه حكى فيه لغتين:

الأولى: (إلاه) ووزنه (فِعَال).

(١) المقتضب ١/ ٩٢.

(٢) انظر الحاشية رقم (٢) في أمالي ابن الشجري ٢/ ١٩٥، ١٩٦.

(٣) الخصائص ٢/ ٢٨٨.

(٤) حاشية رقم (٧) في المصدر السابق نفسه.

والثانية: (لاه). ولم يحذف من الاسم في هذه اللغة شيءٌ، ولكنهم قدموا الهاء إلى موضع الألف، فسكنت لما وقعت موقعَ الساكنِ، وأخروا الألفَ فرجعت إلى الياء لما سكن ما قبلها، فقالوا: لَهْيَ أبوك (١).

فأحال د. البعيمي في الحاشية إلى كتاب سيبويه محدداً مواضع رأييه الأول والثاني في كتابه، واقتصر على الإشارة إلى أنَّ بعضَ العلماءِ ومنهم أبو علي الفارسي ينكرُ أن يكون لسيبويه في هذه المسألة رأيان. دون أن يُبَيِّنَ -أي د. البعيمي- القولَ الراجحَ في هذه المسألة(٢).

- كذلك عقَّبَ محققو(٣) كتاب المزهر على ما ذكره السيوطي (ت ٩١١هـ) من دوران كلمة (الله) عند من قال باشتقاقها بين الاشتقاق من (أَله) أو (لوه) أو (وَلِهَ) بما نقله الفيروز أبادي من أن سيبويه جوَّز اشتقاقَ لفظِ الجلالةِ من (لاه)(٤).

- د. محمد إبراهيم محمد عبدالله؛ حيث ردَّ على ما نسبه الرازي والفيروز أبادي إلى سيبويه من أنَّ لفظِ الجلالةِ ليس بمشتقٍّ وأنه مرتجلٌ بأنَّ هذا العزوَ في رأيه غيرُ دقيقٍ لأسبابٍ ذكرَ منها ما يلي:

" ١- أن سيبويه نفسه ذكر في كتابه اشتقاقين للفظ الجلالة:

الأول: أله، وهذا مفاد قوله: " وكأنَّ الاسمَ -والله أعلم- إلهٌ، فلما أُدْخِلُ فيه الألفُ واللامُ حذفوا الألفَ وصارت الألفُ واللامُ خَلَفًا منها. فهذا أيضًا مما يقويه أن يكون بمنزلة ما هو من نفس الحرف " (٥).

(١) شرح التصريف ٣٩٧.

(٢) حاشية رقم (١) من المصدر السابق نفسه.

(٣) وهم: محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم.

(٤) انظر: الحاشية رقم (٣) في كتاب المزهر ١/ ٣٤٩.

(٥) كتاب سيبويه ٢/ ١٩٥.

الثاني: لاه، وهو مفاد قوله: " كما حذفوا اللامين من قولهم: لاهِ أبوك، حذفوا لامَ الإضافة واللامَ الأخرى، ليخفِّفَوا الحرفَ على اللسان، وذلك ينوون.

وقال بعضهم: لَهْيَ أبوك، فقلب العين وجعل اللام ساكنةً إذْ صارتْ مكانَ العينِ كما كانت العينُ ساكنةً، وتركوا آخر الاسمِ مفتوحًا كما تركوا آخر (أينَ) مفتوحًا. وإنما فعلوا ذلك به حيث غَيَّرُوه لكثرته في كلامهم فغَيَّروا إعرابه كما غَيَّرُوه " (١).

٢ – أَنَّ المبردَ (ت ٢٨٥هـ) بعدِ أَنْ نَقَلَ هذين الاشتقاقين عن سيبويه اعترض على رأي سيبويه الثاني بأنه مناقضٌ لرأيه الأول، فقال: " وهذا نَقْضُ ذلك؛ لأنه قال أولاً إنَّ الألفَ زائدةٌ لأنها ألفُ فعال، ثم ذكر ثانيًا بأنها عين الفعل "(٢) (٣) انتهى.

ولم يُحلْ د. محمد عبدالله في الحاشية إلا إلى كتاب المقتضب للمبرد(٤). وفيما ذكره نظر؛ إذ بالرجوع إليه نجد أَنَّ المبردَ لم ينقلْ عن سيبويه إلا قولاً واحدًا في أصلِ لفظِ الجلالةِ وهو (إله).

وحتى نقف على رأي الخليلِ وسيبويه لابد من عرض قوليهما في هذه المسألة؛

– قال الخليل: " وقولهم في الجاهلية الجَهْلاءِ: لاهِ أنت، أي: لله أنت. ويقولون: لاهُمَّ اغفرْ لنا. وكُرِهَ ذلك في الإسلام " (٥).

وليس في النص السابق ما يدلُّ على أَنَّ لاهًا عنده هي أصل لفظ الجلالة، إنما قَصَدَ بيانَ أنها لغةٌ مسموعةٌ غيرُ مستحسنةٍ.

(١) الكتاب ٣/ ٤٩٨.

(٢) الانتصار لسيبويه على المبرد ص٢٣٣ وما بعدها.

(٣) رسالة في لفظ الجلالة الله ص٣٥ وما بعدها.

(٤) ٤/ ٢٤٠.

(٥) كتاب العين (أ ل هـ).

– وقد حكى سيبويه عن أستاذه الخليلِ هذه اللغة، ولم يحكِ عنه أنها هي أصلُ لفظِ الجلالة، حيث قال: " وزعَمَ الخليلُ أَنَّ قولهم: لاهِ أبوك، ولقيتُهُ أمسِ إنما هو على: للهِ أبوك، ولقيتُهُ بالأمسِ، ولكنَّهم حذفوا الجارَّ والألفَ واللامَ تخفيفًا على اللسان. وليس كلُّ جارٍّ يُضْمَرُ؛ لأن المجرورَ داخلٌ في الجارِّ، فصارا عندهم بمنزلةِ حرفٍ واحدٍ، فمن ثَمَّ قَبُحَ، ولكنَّهم قد يضمرونه ويحذفونه فيما كَثُرَ من كلامهم، لأَنَّهم إلى تخفيفِ ما أكثروا استعمالَه أَحْوَجُ"(١).

كما مَثَّلَ في موضع آخر من كتابه بهذه اللغة نفسها على حذفِ الجارِّ شذوذًا؛ لأنه –حسب قوله– ليس هذا طريقة الكلام ولا سبيله؛ لأنه ليس من كلامهم أن يضمروا الجارَّ(٢).

ومعلومٌ أَنَّ سيبويه قد دَرَجَ في كتابه على إيراد لغاتِ العربِ حتى غريبها، مما يدلُّ على إحاطته بلغاتِ العربِ مع كثرتها وتباينها، فاستوعب –حسبما ذكره ابنُ جني– جميعَ كلامِ الصُّرحاءِ والهجناءِ والعبيدِ والإماءِ في نواحي الأرضِ ذاتِ الطولِ والعرضِ حتى لغات الرعاةِ الأجلافِ.... وغيرهم، فلم يُخْلِلْ من جميع ذلك على سعته وانبثاثه وانتشاره واختلافه إلا بأحرف تافهة المقدار متهافتة على البحث والاعتبار، ولعلها أو أكثرها مأخوذة عَمَّنْ فسدتْ لغتُهْ فلم تلزمْ عهدته(٣).

وواضح مما سبق أن الخليل وسيبويه لم يذكرا أن (لاهًا) هي أصل لفظ الجلالة، حيث نصًّا صراحةً على أنها لغةٌ مسموعةٌ عن العرب، إنما أصله عندهما هو (إله) كما سيأتي بيانه في موضعه.

(١) الكتاب ٢/١٦٢، ١٦٣.

(٢) المصدر السابق ٢/١١٥.

(٣) الخصائص ٣/١٨٦.

* وبهذا يتضح لنا أنَّ أبا عليٍّ الفارسي كان محقًا في ردِّهِ على الزجاجِ بأن سيبويه لم يحكِ عن الخليلِ أن اللهَ أصلُهُ (لاه).

ومما يؤكد أنَّ (لاهًا) لغةٌ في لفظ الجلالة ما نقله الزجاجيُّ عن قطرب (ت ٢٠٦هـ) وغيره من أصحاب العربية أن هذا الاسم لكثرة دوره في الكلام واستعماله قد كثُرَتْ فيه اللغات؛ فمن العربِ مَنْ يقولُ: والله لا أفعل، ومنهم مَنْ يقولُ: واللهْ بإسكان الهاء وترك تفخيم اللام... ، ومنهم من يقول: واه لا أفعل ذلك[١].

وكذلك ما ذكره الأزهريُّ (ت ٣٧٠هـ) من: " أن العربَ لما سمعوا (اللهمَّ) قد جرتْ في كلامِ الخلقِ تَوَهَّمُوا أنه إذا أُلْقِيَتِ الألفُ واللامُ من (الله) كان الباقي (لاه)، فقالوا: لاهُمَّ،....

ويقولون: لاه أبوك، يريدون: لله أبوك، وهي لامُ التعجبِ يضمرون قبلها: اعْجَبُوا لأبيه ما أَكْمَلَهُ، فيحذفون لامَ التعجبِ مع لامِ الاسم "[٢].

ولعلَّ الذي دعاهم إلى نسبةِ هذا القولِ إلى سيبويه قوله: " وقالَ بعضُهم: لَهْيَ أبوك، فقلبَ العينَ وجعلَ اللامَ ساكنةً إذْ صارتْ مكانَ العينِ كما كانت العينُ ساكنةً،... " [٣]. فَفُهِمَ من عبارةِ الكتابِ السابقة أنَّ الهاءَ لامُ الكلمة، والياءَ – المنقلبة عن الألف– عينُها.

ومن هنا اعترضَ المبردُ على سيبويه؛ لأن سيبويه –حسب قول المبرد– كان قد ذكر في اسمِ الله عزَّ وجلَّ أن تقديرَهُ (فِعَالٌ) لأنه (إلاهٌ)، والألفُ واللامُ في (الله) بدلٌ من الهمزةِ، فلذلك لزمت الاسمَ مثل: أناس والناس[٤]. ثم قال: إنهم

(١) اشتقاق أسماء الله ٣٧، ٣٨.

(٢) تهذيب اللغة (الله والإله).

(٣) الكتاب ٣ / ٤٩٨.

(٤) المصدر السابق ٢ / ١٩٥.

يقولون: لَهْيَ أبوه، في معنى: لله أبوه، فيقدمون اللامَ ويؤخرون العينَ، وهذا نقضُ ذلك؛ لأنه قال أولاً: إنَّ الألفَ زائدةٌ لأنها ألفُ فِعَال، ثم ذكر ثانيًا أنها عينُ الفعلِ.

وقد ردَّ ابنُ ولاَّد (ت ٣٣٢هـ) على المبرد بأنه قد " ذكر سيبويه هذا الكلامَ في باب الإضافة إلى المحلوف به، وليس بناقض لما قدَّمَهُ، ولكنهم فعلوا في هذا الاسم لكثرته على ألسنتهم ما لم يفعلوا في غيره، فحذفوه وألزموا فيه الحذفَ فقالوا: لاه أبوه، فصارتْ هذه الألفُ كأنَّها عينُ الفعلِ، وإن كانت زائدةً في الأصل، ثم أكَّدُوا ذلك بأن قلبوها ياء وأزالوها عن موضعها فقالوا: لَهْيَ أبوك، فضارعوا بها الألف المبدلة، وألف (فعال) ليستْ منقلبةً من ياءٍ، فلما رأى العربَ قد قلبوها وأجروها مُجرى ما هو مبدلٌ من حرفٍ من نفس الكلمة، صارتْ عنده بذلك مضارعةً لعينِ الفعلِ، ولو لم يُضارعوا بها العين لما قلبوها ياءً، فلما شبهوها بالألفات المبدلة عينًا لذلك فهي عنده ألفُ (فعَال)، إلا أنه لما دخلها هذا الإبدال والنقل عن موضعها خرجت عن نظائرها فسُمِّيَتْ باسمِ ما ضورع به"(١).

كما ردَّ ابنُ سيده قولَ المبردُ، إلا أن ردَّه مبنيٌّ على ما نقله -أي ابن سيدة- من أن مذهب سيبويه في لفظ الجلالة أنه مشتقٌّ من (إله) أو من (لاه)، حيث ذكرَ أنَّ اعتراضَ المبردِ على سيبويه مغالطةٌ؛ لأنه إنما يكون نقضًا لو قالَ في حرفٍ واحدٍ في كلمةٍ واحدةٍ وتقديرٍ واحدٍ إنه زيادةٌ، ثم قال فيها نفسها إنه أصلٌ، فهذا القول لا محالة فاسدٌ مُنْتَقَضٌ. أما إذا قَدَّرَ الكلمةَ مشتقةً من أصلين مختلفين لم يمنعْ أن يحكمَ على حرفٍ فيها أنه أصلٌ، ويحكم على ذلك الحرفِ أنه زائدٌ؛ لأن التقدير فيهما مختلفٌ. و(لَهْيَ) عند سيبويه مقلوبٌ من (لاه)، والألفُ فيه عينُ الفعل، وهي غير التي في (الله) إذا قَدَّرتَهُ محذوفًا منه الهمزة التي هي فاء الفعل. ومن ثَمَّ حكمَ بزيادةِ الألف من غيرِ الموضعِ الذي حكمَ فيه بأنها أصلٌ. وإذا كان كذلك

(١) الانتصار لسيبويه على المبرد ٢٣٣، ٢٣٤، وانظر المقتضب ٤ / ٢٤٠ الحاشية رقم (٢).

سَلِمَ قولُهُ من النَّقْضِ (١).

* والراجح ردُّ ابنِ ولاَّد؛ لأن سيبويه لم يذكرْ أنَّ (لاه) أصلُ لفظِ الجلالة، إنما أوردَهُ على أنه لغةٌ لبعضِ العربِ كما هو واضحٌ من نصوصِ كتابِه.

أما ما استشهد به النحاة من الشعر نحو (يسمعها لاهه الكبار)، و(لاه ابنُ عمك) على أنَّ أصلَ لفظِ الجلالة هو (لاه)، فيمكن أن يجاب عليهم بالآتي:

١ – ما عقَّب به الحسن بن محمد النيسابوري – على أحد هذين الشاهدين – من أنه: "لو عَدَّ هذه المسألةَ من اللغة جازَ؛ لأنها غيرُ قياس" (٢).

٢ – قول عبدالقادر البغدادي: "وليس في الشعر دليلٌ على أن الله أصله لاه، لجواز أن يكون (لاه) مُخَفَّفَ (إلاهٍ)، حُذِفَت الهمزةُ لضرورة الشعر؛ بدليل الجمع على آلهةٍ دون أَلْوِهَةٍ، أو أَلْيِهَةٍ".

وبما نقله عن خضر الموصلي من أنه: "استشهد به على أنَّ أصلَ الله (لاه)؛ لأنَّ الضرورةَ تردُّ الأشياءَ إلى أصولها. وفيه نظر؛ لجواز أن يكون (لاه) لفظًا مستقلاً برأسه بمعنى (إله)" (٣).

وأضاف: "قال أبو عليّ في (نقض الهاذور): فإن قيل: قد قالَ الشاعرُ: (لاهُهُ الكُبار) لقد أخرجَ الألفَ واللامَ من الاسمِ وأضافَهُ. قيل: إنَّ الشاعرَ لما رأى الألفَ واللامَ فيه على حدٍّ ما يكون في الصفاتِ التي تَغْلب، ورأى أنَّ هذه الصفات إذا غلبتْ صارتْ كالأعلام، فلا تحتاجُ إلى حروف التعريف فيها كما لم يُحْتَجْ إليها في الأعلام أخرجَهُ على ذلك..... ومع هذا فكأنه ردَّ الاسمَ للضرورةِ إلى الأصلِ المرفوضِ الاستعمالِ، وهذا لا يجوزُ استعمالُهُ سائغًا مطردًا" (٤).

(١) المخصص ١٧ / ١٤٣ وما بعدها.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان بحاشية جامع البيان ١ / ٤٥.

(٣) خزانة الأدب ٢ / ٢٦٨.

(٤) السابق نفسه.

* وخلاصة القول فإنَّ (لاهًا) ليست أصلاً للفظ الجلالة إنما هي لغةٌ فيه سُمِعَتْ عن بعضِ العربِ بحذف اللامين.

– ومذهب سيبويه أن المحذوف منه لامُ الجر ولام أل التعريف، وعليه فإنَّ اللامَ الباقيةَ هي اللامُ الأصليةُ التي هي عينُ الكلمة، ورجحه بعضهم؛ لئلا يُحذَفَ حرفٌ من أصلِ الكلمة، ولأنَّ حرفَ الجرِّ قد أُضْمِرَ في قولِ رؤبة حين قيل له: كيف أصبحْتَ؟ فقال: خير عافاك اللهُ، يريد: بخير، ونحوه وإذا عُرِف الشيءُ وكَثُرَ استعمالُهُ في موضعٍ فربما أُضْمِرَ (١).

وقال قومٌ: المحذوف اللام الأصلية، والباقية لام الجر، لأن الاسمَ مجرورٌ بها وحروف الجر لا تضمر. كما أن الحذف غيرُ مستنكرٍ في الكلام، فقد قالوا: لم يكُ، ولا أدرِ، ولم أُبَلْ، يريدون: لم يكن، ولا أدري، ولم أبالِ.

قال الزجاجيُّ: " وكلا المذهَبَيْنِ مُحْتَمَلٌ " (٢).

والذي يرجح عندي –والله أعلم– الرأي الأول؛ لأنه إذا دارَ الأمرُ بين كون المحذوف في قولهم: (لاه أبوك) اللام الأصلية وبين كونها اللام الجارة، فالأَوْلى أن يقال: إن اللامَ المحذوفةَ هي لامُ الجرِّ، والباقية اللام الأصلية لوجود ما يدلُّ على لامِ

(١) وقد فَصَّلَ أبو علي الفارسي القولَ في ذلك، موضحًا بأنه لا يجوز القولُ بأن اللامَ في (لاه أبوك) هي لامُ الجر؛ لكونها مفتوحةً، ولام الجر إنما تكون مكسورةً مع الاسمِ الظاهرِ إلا مع المستغاث فإنها تكون مفتوحةً نحو: يالَزيدٍ، ياللهِ.

ولا يجوز القولُ بأنها الجارةُ إلا أنها فُتحتْ لمجاورة الألف لأن الألفَ يُفْتَحُ ما قبلها؛ لأنها لو كانت كذلك لوجب أن تُكْسَرَ في (لَهْيَ) ولا تفتح لزوال المعنى الذي أوجب فتحها. فلما انفتحت في غير مجاورة الألف انفتاحها في مجاورة الألف، علم أن الفتح لم يكن لمجاورة الألف.

واستدلَّ الفارسيُّ على فسادِ كونِ اللام في (لاه) جارةً بأنه لو كانت إياها لكانت في تقدير الانفصالِ عن الاسم من حيث كان العاملُ في تقدير الانفصال عن المعمولِ فيه. فإذا كان كذلك فقد ابتدأ الاسم وأوَّلُهُ ساكنٌ. وذلك مما رفضوه ولم يستعملوه. انظر كتاب الشعر ١ / ٤٥– ٤٧، والمخصص ١٧ / ١٤٩، ١٥٠.

(٢) اشتقاق أسماء الله ٣٥.

الجر في اللفظ؛ لأنَّ الجرَّ في الاسمِ يدلُّ على الجارِّ المحذوفِ، فحذفُ الذي يبقى في اللفظِ دلالةٌ عليه أَوْلَى.

وأما ما ذكره أصحاب الرأي الثاني بأن المحذوف اللام الأصلية، وأن الحذفَ غيرُ مستنكرٍ في الكلام فقد قالوا: لم يكُ، ولا أدرِ، ... ونحو ذلك، فيمكن أن يجابَ عليهم بما ذكره ابن سيدة، من أنَّ حذفَ لامِ الجرِّ في: (لاه أبوك) هو كحذف الحروف الأصلية في نحو: لم يكُ، ولا أَدْرِ، ولم أُبَلْ؛ وذلك لأنَّ الدلالةَ على المحذوفِ قائمةٌ، وهم إنما يحذفون إذا كان ما أُبْقِيَ يدلُّ على ما أُلْقِيَ (١).

القول الثاني: ذهب فريقٌ من القائلين باشتقاقه إلى أنَّ أصلَهُ (إِلهٌ).

ويندرجُ تحت هذا القولِ قولان:

الأول: أن همزةَ إلهٍ منقلبةٌ عن الواو، فأصله ولاهٌ. ومعناه أَنَّ الخلقَ يولهون إليه في حوائجهم، ويضرعون إليه فيما يصيبهم، ويفزعون إليه في كل ما ينوبهم. وقيل: هو من أَلِهَ يأْلَهُ أَلَهًا أي تحير؛ فالله سبحانه وتعالى تتحير الألبابُ في حقائق صفاته كما يتحير الفكرُ في المعرفة به.

ثم نُقِلَ ولاه إلى إله بإبدال الواو المكسورة همزةً، كما قالوا في وِشاح ووِسادة ووِعاء: إشاح وإسادة وإعاء. ثم أدخلوا عليه الألفَ واللامَ وحذفوا الهمزة، وأدغموا اللامين وفَخَّمُوا فقالوا: الله.

* ويبدو لي – والله أعلم – أن الزجاجَ هو أولُ مَنْ أشارَ إلى هذا القولِ إلا أنه لم يَنْسِبْهُ إلى أحدٍ، حيث قالَ: " ولا تُعَرِّجْ على قولِ مَنْ ذهبَ إلى أنه مشتقٌّ من: وَلِهَ يَوْلَهُ؛ وذلك لأنه لو كان منه لقيلَ في تَفَعَّلَ منه: تَوَلَّهَ... " (٢). ثم تناقله عنه

(١) المخصص ١٧/ ١٤٦، ١٤٧.

وانظر الخلاف في المحذوف من (لاه) في: مجالس العلماء للزجاجي ٥٧، أمالي ابن الشجري ٢/ ١٩٥، شرح المفصل ٩/ ١٠٤، ١٠٥.

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى ٢٥.

مَنْ جاء بعده، إلا أنه وردَ في كثيرٍ من المصادر منسوباً إلى الخليل (١)، وتابعهم د. محمد عبدالله فنسبه إليه أيضًا (٢). في حين أننا نجد الخليلَ نفسَهُ يوردُ لفظَ الجلالةِ في كتابه العين تحت مادة (أله)، ولم يُشِرْ إلى أَنَّ همزتَهُ أصلُهَا واو. وكذلك لم ينقله عنه تلميذه سيبويه في الكتاب، وهو مِمَّنْ اخْتُصُّوا بملازمته وصحبته والأخذ عنه.

لذا نجدُ بعضَهُم يذكرُ هذا القولَ دون أَنْ ينسبه إلى أحدٍ، ومن هؤلاء: أبو البركات الأنباري، والرازي، والعكبري، والبيضاوي، وابن كثير، والصبان، والألوسي، وابن عاشور(٣).

ومما يؤكد ذلك قول أبي علي الفارسي: " ولم نعلمْ من النحويين بصريِّهم ولا كوفيِّهم مَنْ ذهبَ في هذا الاسم إلى أنه من الوَلَهِ، وإنما ذهب إليه مَنْ ليس من أهلِ النَّظَرِ في العربية؛ لوضوح خطأ القول بذلك فيه من جهةِ اللفظ..... فللخطأ الظاهرِ من جهةِ اللفظِ لم يذهبْ إلى هذا القولِ نحويٌّ فيما علمناه " (٤).

ومما يدلُّ على فساد كونه من الوَلَهِ ما يلي:

١ – أنه لو كان مشتقًا من (ولاه) لقيل في (تَفَعَّلَ) منه: تَوَلَّهَ. وفي إجماعهم على أنه تَأَلَّه ـ بالهمز ـ دليلٌ على أنه ليس من وَلَهَ. ولو كانت الهمزةُ بدلاً من الواوِ لجاز النطقُ بالأصل، ولم يَقُلْهُ أحدٌ. ألا ترى أنَّ مَنْ يقول في الوشاح: إشاح، وفي

(١) اشتقاق أسماء الله ٣٢، المشكل ١/٦٧، أمالي ابن الشجري ٢/١٩٧، ١٩٨، المحرر الوجيز ١/٦٣، الجامع ١/١٠٣، البحر المحيط ١/١٥، الدر المصون ١/٥٨، بصائر ذوي التمييز ٢/١٤.

(٢) رسالة في لفظ الجلالة الله ص: ٥٢، وانظر ص: ٤٦ أيضًا حيث نقل عن الزجاج قوله: " ولا تعرج على قول مَنْ ذهبَ إلى أنه مشتقٌ من وله يوله... " معقبًا على هذه العبارة بأنه يريد الخليلَ.

(٣) البيان ١/٣٣، مفاتيح الغيب ١/١٣٤، إملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/٥، أنوار التنزيل ١/٦، تفسير القرآن العظيم ١/٣٢، رسالة البسملة ٢٤ (أ)، روح المعاني ١/٥٦، تفسير التحرير والتنوير ١/١٦٥.

(٤) نقله عنه البغدادي في خزانة الأدب ١٠/٣٥٨، ٣٥٩.

الوسادة: إسادة يقولُ: تَوَشَّحَ وتَوَسَّدَ. والمستعمل في هذا الاسم تَأَلَّهَ، ولو كان في الكلام لغتانِ لتعاقب الحرفانِ على الكلمةِ كما جاء ذلك في (سنة).

٢ – أنه لم يُجمع إلا على آلهة، ولو كان من الوَلَهِ لَجُمِعَ على أولهة كأوعية؛ لأن التكسيرَ يردُّ الحروفَ المنقلبةَ إلى أصولها.

٣ – أنَّ قولهم (بأنَّ أصلَ إِله: وِلاه، ثم قُلبت الواوُ المكسورةُ همزةً....) ما وجد عنه مندوحة؛ لقلة ذلك وشذوذه عن القياس؛ فإبدال الهمزةِ من الواو مطَّردٌ في المضمومةِ ضمًا لازمًا سواء كانت فاءً أو عينًا، مثل: وُجُوه وأُجُوه،وأَثْوُب وأَثْؤُب. وهذا الإبدالُ جائزٌ جوازًا حسنًا. أما همزُ الواوِ المكسورةِ وإِنْ كَثُرَ عندهم نحو: إشاح وإِعاء فهو أضعفُ قياسًا من همزِ الواوِ المضمومة وأقَلُّ استعمالاً[١]، وأكثرهم يقفُ فيه على السماعِ[٢]. إضافةً إلى كثرةِ الكُلْفَةِ على هذا القولِ.

٤ – لو سُلِّمَ بأنَّ أصلَ إِله: وِلاه فإنه قد يُؤَدِّي ذلك إلى تَوَهُّمِ أصالةِ الهمزةِ لعدم (وِلاه).

قال الفارسيُّ: " فللفساد الظاهرِ من جهةِ اللفظِ لم يذهبْ إليه أحدٌ من أهلِ العربيةِ. فأما من جهة المعنى فليس بممتنعٍ، ولا فيه شيءٌ ينبغي أَنْ يُجْتَنَبَ؛ لأن الذي يقولُ من غيرِ النحويين إِنَّ إِلهًا فِعَالٌ من الوَلَهِ، إنما هو لِوَلَهِ العبادِ إليه، ودعائهم له، وإسراعهم إلى ذلك عندما يدهَمهم من الأمور، وهذا لا يمتنع الوصف به كمالا يمتنع فيه التسمية بإِلهٍ "[٣].

(١) أشار الشهاب الخفاجي إلى أنه مطرد في لغة هذيل كما في التسهيل، ولم يجزم به لعدم سماع (ولاه). عناية القاضي ١ / ٥٦.

(٢) انظر مبحث (إبدال الهمزة) في شرح التصريف الملوكي ٢٧٠– ٢٧٥.

(٣) خزانة الأدب ١٠ / ٣٥٩.

وانظر الردَّ على هذا القول في: تفسير أسماء الله الحسنى ٢٥– ٢٦، أنوار التنزيل ١ / ٦، البحر المحيط ١ / ١٥، الدر المصون ١ / ٥٨، رسالة البسملة ٢٤ (أ)، روح المعاني ١ / ٥٦.

وقد ذهبَ ابنُ فارس (ت ٣٩٥هـ) والجوهريُّ (ت ٣٩٦هـ) إلى أن أَلهَ تأتي بمعنى تَحَيَّرَ، وعلى هذا المعنى يكون أصلُ الهمزةِ واوًا فهو من وَلِهَ يوله ولهًا، وهي عندهما من أصلٍ آخر مغاير لأصلِ لفظِ الجلالةِ الذي أصلُهُ (إلاهٌ) على (فِعَالٍ) بمعنى مفعولٍ؛ لأنه مألوهٌ، أي: معبود.

فقد نصَّ ابنُ فارس على ذلك صراحة؛ إذ بعد أَنْ أوردَ لفظَ الجلالة تحت مادة (أ ل هـ)، ذكرَ أنَّ الهمزةَ واللامَ والهاءَ أصلٌ واحدٌ، وهو التَّعَبُّدُ، وأَنَّ الإله هو الله تعالى، وسُمِّيَ بذلك لأنه معبودٌ. وتَأَلَّهَ الرجلُ: إذا تَعَبَّدَ. والإلاهةُ الشمسُ، وقد سُمِّيَتْ بذلك لأَنَّ قومًا كانوا يعبدونها. ثم أَضَافَ قائلاً: " فأما قولهم في التحير: أَلِهَ يَأْلَهُ فليس من الباب، لأنَّ الهمزةَ واوٌ..... " (١).

وبناءً على ما تقدم فإن (أله) و(وله) -عند الجوهري وابن فارس- لغتان، لا أَنَّ أصلَ (أله): (وله).

الثاني: أَنَّ همزةَ إِلهٍ أصليةٌ. وقد عزا الزجاجيُّ هذا القول إلى يونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ)، والكسائي (ت ١٨٢هـ أو ١٨٣ أو ١٨٩ أو ١٩٢هـ) وقطرب والفراء (ت ٢٠٧هـ) والأخفش (ت ٢١٠ أو ٢١٥ أو ٢٢١هـ)(٢). ونسبه ابن كثير إلى الكسائي والفراء (٣). وعزاه الرازي إلى الكوفيين بعامة(٤). وذكر الفيروز أبادي أن هذا القول نقل عن أهل الكوفة(٥).

وفي ذلك نظر؛ إذ قال به أيضًا الخليلُ وسيبويه من البصريين كما هو واضحٌ من نصوص كتابيهما.

(١) الضحاح ومعجم مقاييس اللغة (أ ل هـ).

(٢) اشتقاق أسماء الله ٢٧، وانظر أمالي ابن الشجري ٢/١٩٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١/٣٢.

(٤) مفاتيح الغيب ١/١٣٧.

(٥) بصائر ذوي التمييز ٢/١٥.

فالخليل أورده تحت مادة أله مشيراً إلى تصاريفه قال: " إنَّ اسمَ الله الأكبر هو الله، لا إله إلا هو وحده، ..... والتَّأَلُّه: التَّعَبُّد. قال رؤبة:

* سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ من تَأَلُّهِي *(١)

... و(الله) لا تُطْرَحُ الألفُ من الاسمِ إنما هو (الله) على التمام.

..... ويُسَمُّون الأصنامَ التي يعبدونها آلهةً. ويسمون الواحدَ إلهًا إفتراءً على الله. ويُقرأ قوله تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾(٢): ويذرك وإلاهَتَكَ (٣)، أي: عبادتك " (٤).

وتابعه سيبويه حيث قال عند تأصيله للفظ الجلالة: " وكأنَّ الاسمَ واللهُ أَعْلَمُ: إِلَهٌ(٥)، فلما أُدْخِلَ فيه الألفُ واللامُ حذفوا الألفَ وصارت الألف واللامُ خلفًا منها. فهذا أيضًا مِمَّا يُقَوِّيه أن يكونَ بمنزلة ما هو من نفسِ الحرف.

(١) الديوان ١٦٥ وصدره:

* لله دَرُّ الغَانِيَاتِ المُدَّه *

والمُدَّه: جمع (مادِه) وهو المادح. وقيل: المدْهُ في نعت الهيئة والجمال، والمدح في كل شيء. و(استرجعن) أي: قلن إنا لله وإنا إليه راجعون.

ورد البيت في كتاب العين (أله). جامع البيان ١ / ٤١، اشتقاق أسماء الله ٢٨، أمالي القالي ٢ / ٩٧، تهذيب اللغة (الله والإله). الصحاح (أله)، معجم مقاييس اللغة (أله)، إعراب القرآن لقوام السنة ٩، أمالي ابن الشجري ٢ / ١٩٧، المحرر الوجيز ١ / ٦٣، شرح المفصل ١ / ٣، اللسان (أله)، (مده)، الدر المصون ١ / ٥٧، تفسير ابن كثير ١ / ٣٢، تاج العروس (أله).

(٢) سورة الأعراف، من الآية: ١٢٧.

(٣) انظر: القراءة في مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ٤٥، وورد في البحر المحيط ٤ / ٣٦٧ أنها قراءة ابن مسعود وعلي وابن عباس وأنس وجماعة غيرهم، وفسروا ذلك بأمرين:

أحدهما: أن المعني وعبادتك، فيكون إذ ذاك مصدراً.

والثاني: أن المعنى ومعبودك، وهي الشمس التي كان يعبدها فرعون. والشمس تسمى إلاهة.

(٤) كتاب العين مادة (أله).

(٥) ذكر جماعة منهم الطبري والزجاجي وابن خالويه والزمخشري أنَّ أصلَ لفظ الجلالة هو: (الإله) بالتعريف. انظر جامع البيان ١ / ٢، اشتقاق أسماء الله ٢٧، إعراب ثلاثين سورة ١١، الكشاف ١ / ٦. =

ومثلُ ذلك: أُناسٌ، فإذا أدخلتَ الألفَ واللامَ قلت: الناس إلا أنَّ الناسَ قد تُفَارِقُهُم الألفُ واللامُ ويكون نكرةً، واسمُ الله تبارك وتعالى لا يكون فيه ذلك..... وهي في اسمِ اللهِ تعالى بمنزلة شيءٍ غيرِ منفصلٍ في الكلمة"(١).

ووافق جماعةٌ من العلماءِ الخليلَ وسيبويهِ في أَنَّ أصلَ لفظِ الجلالةِ هو (إله)، منهم: الطبري (ت ٣١٠هـ)، وابن خالويه، والزمخشري (ت ٥٣٨هـ) وأبو البركات الأنباري، وابن عصفور (ت ٦٦٩هـ)، وأبو حيان، وابن هشام (ت ٧٦١هـ) والشوكاني(٢) (ت ١٢٥٠هـ)، وهو ظاهر كلام المبرِّد؛ حيث نقل عن سيبويه أن أصلَ لفظِ الجلالة (إلاهٌ)(٣) ـ دون إشارة إلى أن لسيبويه قولاً آخر في هذه المسألة ـ.

وإلهٌ على وزن فِعَال بمعنى مفعول، وهو مأخوذٌ من أَلَهَ -بفتح اللام- بمعنى: عَبَدَ، وقيل: معنى الإله: المعبود(٤). وقول الموحِّد: لا إله إلا الله، أي: لا معبودَ إلا الله.

وذكر الزجاج أن " معنى قولنا: (إلاه) إنما هو الذي يستحق العبادة، وهو تعالى المستحق لها دون من سواه "(٥).

= وقد عقب الصبان في رسالة البسملة ٢٤ (أ) على عبارة الزمخشري بقوله: " فإن قلت صريح ما مَرَّ أن أصل الله: إِلهٌ، مُنَكَّرًا، وقد قال في الكشاف: " واللهُ أصلُهُ الإلهُ " . قلتُ: (أل) في كلامه من الحكاية لا من المحكيِّ للوفاق على زيادتها على أصله كما في الشيخ زاده، إلا أنه أَدْخَلَ (أل) في خبر المبتدأ إفادة للحصر كما في: زيدٌ الأميرُ... " .

(١) الكتاب ٢/١٩٥، ١٩٦.

(٢) جامع البيان ١/٤١- ٤٢، إعراب ثلاثين سورة ٥، ١١، الكشاف ١/٦، البيان ١/٣٢، المقرب ٢/١٩٩، تقريب المقرب ١٢٩، نزهة الطرف ١٦٩، فتح القدير ١/٢٨.

(٣) المقتضب ٤/٢٤٠.

(٤) جامع البيان ١/٤١، الصحاح (أله)، شرح المفصل ١/٣.

(٥) تفسير أسماء الله الحسنى ٢٦.

وممن وافقه الزجاجيُّ وابنُ سيدة، حيث ذهبا إلى أنَّ (إلهًا) ليس بمعنى معبود فقط؛ إذ الأصنام كانت معبودةً في الجاهليةِ، وهي عبادةٌ في غيرِ موضعَها واستحقاقِها، إنما معنى الإله في الحقيقة هو: ذو الألوهية، أي: المستحق للألوهية والعبادة، أو هو الذي تَحِقُّ له العبادة وتجب(١).

وقيل: هو مأخوذٌ من أَلِهَ -بكسر اللام- وله معانٍ متعددة؛ فهو بمعنى سَكَنَ؛ إذ الخلق يسكنون إليه وتطمئنُّ قلوبُهُم بذكرِه. أو هو من (أَلِهَ) بمعنى فزع؛ وأَلِهَ إليه بمعنى: فزعَ إليه، فالله عزَّ وجلَّ هو المجيرُ لجميعِ الخلائقِ من كلِّ المضارِّ. وقيل: هو بمعنى تَحَيَّرَ؛ لتَحَيُّرِ العقولِ في كُنْهِ ذاتِه وصفاتِه(٢). أو هو بمعنى وَلِعَ؛ فالعبادُ مولعون بالتَّضَرُّعِ إليه في الشَّدائدِ(٣).

ترجيح:

بعد أن عرضنا آراءَ القائلين باشتقاقِ لفظِ الجلالةِ في الأصل الذي اشتُقَّ منه لابد أن نقف على الرأي الراجح في هذه المسألة.

يتضح من العرض السابق أن الكثيرين على أنَّ أصلَ لفظِ الجلالةِ هو إله بهمزة أصلية، وقد استدل بعضهم على صحة هذا القول بما يلي:

١ - أن صيغة تفعَّلَ منه: تَأَلَّه -بالهمز- يقال: تَأَلَّهَ فلانٌ، إذا فَعَلَ فعلاً يُقَرِّبُهُ

(١) اشتقاق أسماء الله ٣٨، ٢٩. المخصص ١٧ / ١٣٥.
وقد فَصَّلَ الرازيُّ القولَ في هذه المسألة، انظر مفاتيح الغيب ١ / ١٣٣، ١٣٤.

(٢) وقد ضعف الشهاب الخفاجي أن يكون لفظُ الجلالة مشتقًا من (أَله) إذا تحير بقوله: " وضعفه إما لأنَّ الأصلَ في الاشتقاق أن يكون لمعنى قائم بالمشتق، والحيرة قائمة هنا بالخلق؛ لتحيرهم في ذاته وصفاته. أو لكون (أله) بهذا المعنى واويًا عند أهل اللغة كالجوهري وغيره. فعدُّه أصلاً آخر لا وجه له؛ لأن همزته مبدلة من الواو، وإنْ ذهب بعضُ أهلِ اللغةِ إلى أنها أصليةٌ وعليه صاحب القاموس حيث ذكره بهذا المعنى في المادتين ". عناية القاضي ١ / ٥٥.

(٣) معالم التنزيل ١ / ٣٨، مفاتيح الغيب ١ / ١٣٤- ١٣٦، الدر المصون ١ / ٥٧، عناية القاضي ١ / ٥٤- ٥٧، روح المعاني ١ / ٥٦.

من الإله. وهو من: أَلَهَ يَأْلَهَ إلاهَةً وتَأَلُّهاً، وقد صُرِّح بالمصدرِ في قول الشاعر:

* سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ من تَأَلُّهِي *

وفي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما: (ويَذَرَكَ وإلاهَتَكَ) ـ بكسرة الهمزة ـ أي: وعبادتك.

كذلك قالوا في جمعه ـ في الجاهلية ـ آلِهَةً وواحدها: إله[1]. فالتصريف دليل قاطع على أن مادته الهمزة واللام والهاء.

٢ – احتج بعضهم بالسماع، ومن هؤلاء ابنُ خالويه؛ حيث ذكر عند حديثه عن البسملة أن لفظ الجلالة جُرَّ بإضافة الاسمِ إليه، والأصل: باسم الإله، واستدل على ذلك بقول عبدُاللهِ بن رواحة:

باسمِ الإلهِ وبهِ بَدِيْنَا
ولَوْ عَبَدْنَا غَيْرَهُ شَقِيْنَا
فَحَبَّذَا رَبًّا وحَبَّ دِيْنَا [2]

كما احتجَّ الزمخشريُّ على أن أصله الإله بقول الشاعر:

معاذ الإلهِ أَنْ تكونَ كظَبْيَةٍ ولا دُمْيَةٍ ولا عَقِيْلَةِ رَبْرَبِ [3]

وقد عَقَّبَ ابنُ عاشور على ما ذكره الزمخشريُّ بأنه احتجاجٌ وجيهٌ؛ لأنَّ (معاذَ)

(١) كتاب العين (أله).

(٢) تفسير ثلاثين سورة ١١.

والبيت في الديوان ١٤٢. وأورده ابن مالك في شرح التسهيل ١ / ١٧٧.

(٣) انظر: الكشاف ١ / ٦.

والبيت قاله البَعِيْثُ بين حُرَيْث في محبوبته أم السلسبيل، كأنه أَنِفَ وصار يَرْبَأُ بصديقته أن تكون في الحسن بحيث تُشْبِهُ الظبية أو الصورة المنقوشة أو كريمة من بقر الوحش إذ هذه الأشياء عنده دونها، وقاصرة عن رتبتها.

ورد البيت في: شرح الحماسة للمرزوقي ١ / ٣٧٨، الدر المصون ١ / ٥٧، خزانة الأدب ٢ / ٢٧٧.

من المصادر التي لم تَرِدْ في استعمالهم مضافةً لغير لفظ الجلالة (الله) مثل : (سبحان)؛ إذ يقال : معاذ الله، فلما قال الشاعر : معاذ الإله، وهو من الفصحاء عُلِمَ أنهم يعتبرون الإله أصلاً للفظ (الله). ولذلك لم يكن هذا التَّصَرُّفُ تغييراً إلا أنه تَصَرُّفٌ في حروف اللفظِ الواحدِ كاختلاف وجوهِ الأداءِ مع كونِ اللفظ واحداً[١].

كما استدل بعضهم بقوله تعالى : ﴿وَهُوَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾[٢]، فهو كما قال عزَّ وجلَّ : ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ﴾[٣][٤].

٣ – ذكر الصبان أن أرجح الأقوال أن لفظ الجلالة أصله (إله)، والذي رجحه على غيره كما قاله السعد التفتازاني (ت ٧٩١هـ) كثرة دوران الإله في الكلام واستعماله في المعبود بحق وإطلاقه على الله تعالى[٥].

ولو تتبعنا مواضع ورود لفظ (الإله) في فصيح الكلام لوجدناها أكثر من أن تحصى، فمن ذلك مثلاً :

قول النابغة الذبياني :

تعصي الإله وأنتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هذا لعَمُرِكَ في المقالِ بديعُ[٦]

وقول الأعشى :

فإنَّ الإلهَ حَبَاكُم بِهِ ... إذا اقْتَسَمَ القومُ أمْرًا كُبَارَا[٧]

(١) تفسير التحرير والتنوير ١ / ١٦٤.

(٢) سورة الأنعام من الآية : ٣.

(٣) سورة الزخرف من الآية : ٨٤.

(٤) تفسير ابن كثير ١ / ٣٢.

(٥) رسالة البسملة ٢٤ (أ).

(٦) الديوان ١٦١.

(٧) الديوان ٨٢.

عطـــاءَ الإلـــهِ، فـإنَّ الإلـ ـهَ يَسْمَعُ في الغَامِضَاتِ السِّرَارا (١)

جَعَلَ الإلـهُ طعامنا في مَالِنَا رِزْقًـا تَضَـمَّنَـهُ لنـا لن يَنْفَـذَا (٢)

وقال حسان بن ثابت:

واشكُ الهُـمُـوم إلى الإله ومـا ترى من مَـعْـشرٍ مُـتَـأَلِّبينَ غِـضَـاب(٣)

وكـــفى الإلهُ المؤمنينَ قِـتَـــالَهُمْ وأثابهـمَ في الأجْـرِ خَـيْـرَ ثواب (٤)

صَلَى الإلهُ على الذين تَتَـابَعُـوا يوم الرَّجِـيْعِ فَـأُكـرِمُوا وأُثِـيْبُـوا (٥)

وقال في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام:

وضَمَّ الإلهُ اسمَ النبيِّ إلى اسمِهِ إذا قالَ في الخمسِ المُؤَذِّنُ أَشْهَدُ(٦)

وقال في رثائه ﷺ:

كان الضياءَ، وكان النُّورَ نَتْبَعُهُ بعدَ الإلهِ، وكان السَّمْعَ والبَصَرَ (٧)

وقال الحطيئة:

قَبَـــحَ الإلـهُ بَنِـي بِجادٍ إِنَّهُـمْ لا يُصْلِحُونَ وما استطاعُوا أَفْسَدُوا (٨)

٤ – أشار السيوطي إلى أنه إذا ترددت الكلمة بين أصلين في الاشتقاق طلب الترجيح وله وجوه: منها كون أحد الأصلين أشرف؛ لأنه أحقُّ بالوضع له والنفوس

(١) الديوان ٨٢.

(٢) الديوان ٥٧.

(٣) الديوان ١١.

(٤) الديوان ١٢.

(٥) الديوان ١٨، والرجيع: ماءٌ لهذيل بين مكة وعسفان.

(٦) الديوان ٤٧.

(٧) الديوان ٩٣.

(٨) الديوان ١٦١.

أَذْكَرُ له وأقبل، كدوران كلمة (الله) ـ في القول باشتقاقها ـ بين الاشتقاق من (أَله)، أو (لوه)، أو (وله)، فيقال: من أله أشرف وأقرب[١].

وفي حذف الهمزة من (إله) قولان[٢]:

الأول: أنه لَمَّا أُدْخلَت الألفُ واللامُ على لفظ إله حذفوا الهمزةَ على غير قياسٍ للتخفيف وذلك لكثرة استعماله. ولَزِمَتْهُ الألفُ واللامُ عوضًا منها، وصارتا كأحد حروف الاسم لا يُفَارِقَانِه، ولذلك قالوا في النداء: يا ألله اغفر لي، وفي القسم: أفَألله لَيَفْعَلَنَّ بقطع الهمزة[٣].

وأما قول الجوهريِّ لو كانت الألفُ واللامُ عوضًا من الهمزة المحذوفة لما اجتمعتا مع المعوَّضِ منه في قولهم: الإله؛ فهذا ردٌّ منه على أبي علي الفارسي لأنه كان ممن يجعلون الألفَ واللامَ في اسم الباري سبحانه وتعالى عوضًا من الهمزة[٤].

وقد ردَّ ابنُ يعيش على الجوهري بأنه ليس المرادُ بقولنا: إنَّ الألفَ واللامَ عوضٌ من الهمزة أنَّهما دَخَلا بعد حَذْفِ الهمزة، وإنما المراد أنهما دَخَلا للتعظيم ودَفْعِ الشِّيَاعِ الذي ذَهَبُوا إليه من تسمية أصنامهم وما يعبدونه آلهة، فصار لفظه (الإله). ثم لَمَّا حُذِفت الهمزةُ صارت الألفُ واللامُ عوضًا منها.

وبناء على هذا فإنَّ الإله -بالهمز- ليس هو الذي وَقَعَ فيه التعويضُ حتى يمتنع الجمعُ بين (أل) والهمزة، بل هو اللفظُ الذي قبل التعويض. وأما ما وقعَ فيه التعويضُ فهو لفظ (الله) ولا همزَ فيه، وهو الاسمُ الذي تَفَرَّدَ سبحانه به ولا يشركه فيه غيره[٥].

---

(١) المزهر ١ / ٣٤٩.

(٢) انظر: شرح السيرافي ٣ / ٤٢، المشكل ١ / ٦٦، ٦٧، المخصص ١٧ / ١٣٨، ١٣٩، المحرر الوجيز ١ / ٦٣، شرح الملوكي ٣٥٧- ٣٥٩، الدر المصون ١ / ٥٧.

(٣) الكتاب ٢ / ١٩٥، اشتقاق أسماء الله ٢٧- ٢٩، تاج العروس (أله).

(٤) الصحاح (أله).

(٥) شرح الملوكي ٣٥٨، وانظر: تاج العروس (أله)، رسالة البسملة ٢٤ (أ).

القول الثاني: إنَّ الأصلَ إلهٌ، ثم أُدخلت الألفُ واللامُ للتعريف، ثم خُفِّفَت الهمزةُ التخفيفَ القياسيَّ؛ بأنْ حُذِفَتْ وأُلْقِيَتْ حركتُها على الساكن قبلها وهو اللام، فتحركت اللامُ بحركة الهمزة وهي الكسرة فصارت: أَلِلاه، فاجتمعَ مثلانِ متحركانِ وهما اللامان، فأَدْغَمُوا اللامَ الأولى في الثانية بعد إسكانها لأجل الإدغام فصار: الله. وصارت الألفُ واللامُ عوضًا من الهمزة المحذوفة(١).

وقيل: حُذِفَت الهمزةُ قياسًا؛ لاجتماع همزتين بينهما ساكنٌ، وهو حاجزٌ غيرُ حصينٍ، فكأنهما التقيا، فَحُذِفَت الثانيةُ تخفيفًا، وأُدْغمت اللامُ في اللام(٢).

وقد رَجَّحَ بعضُهم القولَ الأولَ، وهو أنَّ فاءَ (إله) حُذِفَتْ على التخفيف غير القياسي، ومن هؤلاء: أبو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ) وابنُ سيدة وابنُ عطية.

قال السيرافي: " وقال بعضُ أصحابنا حُذِفَت الهمزةُ على غير وجه التَّليين، وذلك أبلغُ في خَلَفِ الألفِ واللامِ منها، وقد حذفوا الهمزةَ من (خُذْ) و(كُلْ) على غيرِ وجه التليين"(٣).

وفَصَّلَ ابنُ سيدة القولَ في ذلك؛ فبعد أَنْ بيَّنَ أنَّ حَذْفَ همزةِ إله ليس على التخفيف القياسي قال: " فإنْ قال قائلٌ: فَلِمَ قَدَّرَهُ هذا التقدير؟ وهلاَّ حَمَلَهُ على التخفيف القياسي إذ تقديرُ ذلك سائغ فيه غير ممتنع منه والحملُ على القياس أولى من الحمل على الحذف الذي ليس بقياس ؟

قيل له: إنَّ ذلك لا يخلو من أن يكونَ على الحذف كما ذهب إليه سيبويه، أو على تخفيف القياس؛ في أنه إذا تحركت الهمزةُ وسُكِّنَ ما قبلها حُذِفَتْ وأُلقيتْ

(١) شرح كتاب سيبويه للسيرافي ٣/٤٢، تهذيب اللغة (الله والإله)، البيان ١/٣٣، إملاء ما مَنَّ به الرحمن ١/٥، شرح الكافية ١/١٤٥.

(٢) ذكر الصبان في رسالة البسملة ٢٤ (أ) أنه اختيارُ الرضيِّ، ولم يورده الرضي في شرح الكافية ١/١٤٥ عند حديثه عن لفظ الجلالة.

(٣) شرح كتاب سيبويه ٣/٤٢ (ب).

حركتُها على الساكن. فلو كانَ طَرْحُ الهمزةِ على هذا الحدِّ دون الحذف لما لَزِمَ أَنْ يكونَ منها عِوَضٌ؛ لأَنَّها إذا حُذِفَتْ على هذا الحدِّ فهي وإِنْ كانت مُلْقَاةً من اللفظِ مُبَقَّاةٌ في النيَّة، ومعاملَةٌ معاملةَ المثبتةِ غيرِ المحذوفة، يَدُلُّكَ على ذلك تركُهم الياءَ مصححةً في قولهم: (جَيْأَل) إذا خفَّفُوا فقالوا: جَيَل، ولو كانت محذوفةً في التقدير كما أنها محذوفةٌ من اللفظِ لَلَزِمَ قلبُ الياءِ ألفًا. فلما كانت الياءُ في نيةِ سكونٍ لم تُقْلبْ كما قُلبتْ في (بابٍ) ونحوه.....

كذلك لو كان حذفُها في اسم الله تعالى على هذا الحدِّ لَمَا لَزِمَ أَنْ يكونَ من حَذفها عِوَضٌ؛ لأنها في تقدير الإثبات للدلالة التي ذكرناها.

وفي تعويضهم من هذه الهمزة ما عَوَّضُوا ما يدلُّ على أَنَّ حَذْفَها عندهم ليس على حدِّ القياسِ كجَيَلَ في جيأل ونحو ذلك، بل يدلُّ العِوَضُ فيها على أَنَّهم حذفوها حذفًا على غير هذا الحدِّ "(١).

والعِوَضُ من همزة إله هو الألفُ واللامُ في قولهم: الله، يدلُّ على ذلك قطعها في النداءِ والقَسَمِ في نحو: يا ألله اغفرْ لي، وأَفَأَلله ليفعَلَنَّ، إذ لو كانت غيرَ عِوَضٍ لم تَثْبُتْ كما لم تَثْبُتْ في غير هذا الاسمِ، فَلَمَّا قُطِعَتْ هنا عُلِمَ أَنَّ ذلك لمعنىً اخْتُصَّتْ به ليس في غيرها؛ وهو العِوَضُ من الحرف المحذوف الذي هو الفاءُ، فصارت في حكم جزء الكلمة.

فإِنْ قيل: قد لا يكون ذلك المعنى العِوَض؟

فالجواب: إِنَّه لا يخلو من أَنْ يكونَ ذلك المعنى العِوَض كما تقدَّمَ، أو أَنْ يكونَ لكثرةِ الاستعمالِ فَغُيِّرَ كما يُغَيَّرُ غيره مِمَّا يكثر في كلامهم عن حالِ نظائرِه. أو أَنْ يكونَ لِلُزُومِ الحرفِ للاسم لا يفارقُهُ، أو لأَنَّها همزةٌ مفتوحة وإِنْ كانت موصولةً.

(١) المخصص ١٧/١٣٨.

فلو كان كثرةُ الاستعمالِ هو الذي أَوْجَبَ ذلك دون العِوَضِ لوجبَ أَنْ تُقْطَعَ الهمزةُ أيضًا في غير هذا مما يكثرُ استعماله. ولو كان للزوم الحرف لوجبَ أَنْ تُقْطَعَ همزة (الذي) و(التي) للزومها ولكثرة استعمالها أيضًا. ولا يجوزُ أيضًا أَنْ يكونَ لأنها همزةٌ مفتوحة وإن كانت موصولةً كما لم يَجُزْ في ايْمُ اللهِ، وايْمُنُ اللهِ، التي هي بهمزةِ وَصْلٍ مفتوحة.

فإذا كان كذلك ثبتَ أنه للعِوَضِ. وإذا كان للعِوَضِ لم يَجُزْ أن يكونَ حذفُ الهمزةِ من الاسمِ على الحدِّ القياسيِّ، ولهذا حملَهُ سيبويه على الحذفِ الذي ليس بقياس(١).

وقد ردَّ ابنُ مالك (ت ٦٧٢هـ) هذا القولَ، وعدَّ لفظَ الجلالة (الله) من الأعلام التي قارنَ وضعها وجود الألف واللام، وليس أصله الإله كما زعم الأكثرون، بل هو علمٌ دالٌّ على الإله الحقِّ دلالة جامعة لمعنى الأسماء الحسنى كلها ما علم منها وما لم يعلم. ولذلك يقال: كلُّ اسمٍ سوى الله من الأسماءِ الكريمةِ هو من أسماء الله ولا ينعكس.

وأضاف أنه لو لم يُرَدّ على مَنْ زعم أن أصلَ الله الإله إلا بكونه مدّعيًا ما لا دليل عليه لكان ذلك كافيًا؛ لأن (الله) و(الإله) مختلفان في اللفظ والمعنى؛ أما في اللفظ فلأن أحدَهما في الظاهرِ الذي لا عدول عنه دون دليل معتلُّ العين. والثاني مهموزُ الفاءِ صحيحُ العينِ واللامِ، فهما من مادتين مختلفتين، وردُّهما إلى أصلٍ واحدٍ تحكُّمٌ وزيغٌ عن سبيل التصريف. وأما اختلافهما في المعنى فلأنَّ اللهَ خاصٌّ بربنا تبارك وتعالى في الجاهلية والإسلام، والإله ليس كذلك، ولهذا يُستحضر بذكرِ الله مدلولات جميع الأسماء، ولا يستحضر بالإله إلا ما يُستحضر بالمعبود، وهذا بَيِّنٌ من قولِ بعضِ الأنصارِ رضي الله عنهم:

* باسمِ الإلهِ وبه بَدينا *

(١) الصحاح (أله). المخصص ١٧/ ١٣٩.

ثم مراد من زعمَ أَنَّ أصلَ الله: الإله لا يخلو من أحد أمرين:

أحدهما: أن تكونَ الهمزةُ حُذِفَت ابتداءً ثم أُدغمت اللامُ في اللامِ.

والثاني: أن تكونَ الهمزةُ نُقِلَتْ حركتها إلى اللامِ الأولى، وحُذفتْ هي على مقتضى النقل القياسي.

فالأولُ باطلٌ؛ لأَنَّ حاصلَه ادّعاءُ حَذْفِ فاءٍ بلا سبب ولا مشابهة ذي سبب من كلمة ثلاثية اللفظ. فذكْرُ الفاءِ تنبيهٌ على أنَّ حذفَها أشدُّ استبعاداً من حذفِ العينِ واللام؛ لأنَّ الأواخرَ وما اتصلَ بها أحقُّ بالتغيير من الأوائلِ. وقولي: (بلا سبب) تنبيه على أنَّ الفاءَ قد تحذفُ بسبب كحذف واوِ (عدة) فإنه مصدر (يعد)، فحمل المصدر على الفعل في الحذف طلبًا للتشاكل. وقولي: (ولا مشابهة ذي سبب) تنبيه على (رِقَة) بمعنى: وَرِقَ، فَحُذِفَتْ فاؤه لا لسبب كما في (عدة)، بل لشبهه بعدة وزنًا واعتلالاً.....

فإن قيل: قد حُذفتِ الفاءُ بلا سبب في الناس؛ فإنَّ أصلَهُ: أناس، فلنحكمْ بذلك فيما نحن بسبيله.

قلنا: لو صحَّ كون الناس مُفَرَّعًا على أناس لم يَجُزْ أنْ يُحملَ عليه غيرُه؛ لأنَّ الحملَ عليه زيادةٌ في الشذوذ، وتكثُّرٌ من مخالفةِ الأصلِ دونَ سببٍ يلجئ إلى ذلك. فكيف والصحيح أن ناسًا وأناسًا لفظان بمعنى واحدٍ من مادتين مختلفتين؛ إحداهما: أنس، والأخرى: نوس، كما أن أَلُوقة ولُوقة من مادتين مختلفتين، وهما اسمان لتمرٍ معجونٍ بزبدٍ أو سمنٍ...

وأما ادِّعَاءُ نقلِ حركةِ همزة الإله إلى اللام فأحقُّ بالبطلان؛ لأنه يستلزمُ مخالفةَ الأصلِ من وجوه:

أحدها: نقلُ حركةِ همزةٍ في كلمتين على سبيل اللزوم، ولا نظير لذلك.

الثاني: نقلُ حركةِ همزةٍ إلى مثل ما بعدها، وذلك يوجب اجتماعَ مثلين متحركين، وهو أثقلُ من تحقيق الهمزة بعد ساكنٍ؛ لأن اجتنابه في اللام آكد، إذ هو ملتزم في: (أوعَدَ) وبابه، بخلاف النقل فإنه لم يلتزم إلا في أفعال الرؤية، مع أنَّ من العربِ من لا يلتزمه وهم تيم اللات(١).

الثالث: مخالفةُ الأصلِ من تسكينِ المنقولِ إليه الحركة، وذلك يوجبُ كون النقلِ عملاً كلا عمل، لأنَّ المنقولَ إليه كان ساكنًا ثم حُرِّك بحركةِ الهمزةِ إبقاءً عليها وصونًا لها من محضِ الحذف، وإذا سُكِّنَ فات ذلك، وعادَ الحرفُ إلى ما كان عليه قبلَ النقلِ، فكأنَّ النقلَ لم يكن، ومع هذا ففاعلُ هذا التسكين بعد النقلِ بمنزلة من نقل في يَئس فقال: ييس، ثم سكن فقال: يَيْس، فلا يخفى ما في هذا من القبحِ مع كونهِ في كلمةٍ واحدةٍ، والمدعَى في (الله) من كلمتين، فهو أمكن في الاستقباح وأحق بالإصلاح.

الرابع: إدغامُ المنقولِ إليه فيما بعد الهمزة، وذلك بمعزلٍ عن القياس، لأن الهمزة المنقولة الحركة في تقدير الثبوت، فإدغام ما قبلها فيما بعدها كإدغامِ أحد المنفصلين في الآخر، وقد اعتبر أبو عمرو بن العلاء في الإدغامِ الكبير الفصل بمحذوفٍ واجب الحذف، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ﴾(٢) فلم يدغم الغينَ في الغينِ فلأن يعتبر الفصل بمحذوف غير واجب الحذف أحق وأولى..... ومثل هذا المدعى في (الله) قد ندر في: لكن أنا، إذا قيل فيه: لكنّا، إلا أن هذا ليس ملتزمًا.

(١) ومنه قول سُراقة الباهليِّ:

أُرِي عَيْنَيَّ ما لم تَرْأَياه كلانا عَالِمٌ بالتُّرَّهات

انظر: شرح المفصل ٩ / ١١٠.

(٢) سورة آل عمران، من الآية: ٨٥.

وأضاف ابنُ مالك أن الذي زعمَ أنَّ أصلَ (الله): الإله، يقولُ: إنَّ الألفَ واللامَ عوضٌ من الهمزةِ، ولو كان كذلك لم يجمعْ بينهما في الحذفِ في قولهم: لاه أبوك، يريدون: لله أبوك، إذ لا يحذفُ عوض ومعوض منه في حالٍ واحدةٍ[1]. . . . انتهى.

وقد اكتفى د. محمد عبدالله بالإشارة إلى اعتراض ابن مالك فقط[2]، ويبدو لي ـ والله أعلم ـ أن ما ذكره ابن مالك فيه نظر من عدة أوجه:

١ – أما قوله: إن لفظي (الله) و(الإله) مختلفان في اللفظ؛ لأن أحدَهما معتلُّ العينِ، والثاني مهموز الفاء صحيح العين واللام، فهما من مادتين مختلفتين كما أنهما مختلفان في المعنى؛ لأن (الله) خاصٌّ به تعالى في الجاهلية والإسلام، أما (الإله) فليس كذلك. . . .

فيمكن أن يجاب عليه بما ذكره الزجاجيُّ من أنه لإخراج هذا المعنى من (إله) وللفرقِ ما بينه وبين غيره قيل: الله، فأدخلت الألفُ واللامُ عليه وحُذفت الهمزةُ وفُخِّمَ اللفظ به، وأُلْزِمَ هذا البناء ليدل على أنه الإلهُ المستحقُّ للألوهيةِ دون ما سواه. فَخُصَّ ببناءٍ لا يشركُهُ فيه غيره ولا يدّعيه أحدٌ. ألا ترى أنه قد استعمل (إله) في غيره عز وجل حكاية ومجازًا، ولم يستعمل (الله) في غيره، قال تعالى: ﴿ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى ﴾[3]، ولم يقل: هذا الله. ومثله ﴿ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ﴾[4]، وقوله: ﴿ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾[5]، فقد ادعى فرعون أنه ربٌّ وإلهٌ فقال: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾[6]، وقال: ﴿ مَا عَلِمْتُ

(١) شرح التسهيل لابن مالك ١ /١٧٧– ١٧٩.

(٢) رسالة في لفظ الجلالة ٢٢٣، ٢٢٤.

(٣) سورة طه، من الآية: ٨٨.

(٤) سورة الزخرف، من الآية: ٥٨.

(٥) سورة الأعراف، من الآية: ١٣٨.

(٦) سورة النازعات، من الآية: ٢٤.

لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾(١)، ولم يدَّع مع هذا أنه اللهُ جلَّ الله عما يقول الظالمون وعلا عُلُوًّا كبيرًا (٢).

وذكر بعضُ العلماءِ أنَّ لفظَ (إله) المجرد من الألف واللام أطلقه العربُ على المعبودِ بحقٍّ وعلى غيره من أصنامهم لأنهم كانوا يرونها حقيقةً بالعبادة، ولذلك جمعوه على آلهة، قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾(٣)، وقال: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾(٤)، وقال: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾(٥).

أما (الإله) بالتعريف فإنه لا يُطْلَقُ إلا على المعبود بحقٍّ، ولم يوقف على أَنَّ العرب أطلقوه مفرداً على أحدٍ من أصنامهم؛ إنما يُضيفونه فيقولون: إله بني فلان، والأكثر أن يقولوا: ربُّ بني فلان، أو يجمعوه كما قالوا لعبد المطلب: أَرْضِ الآلهة(٦).

قال ابنُ عاشور: " فلما اختصَّ الإله بالإلهِ الواحدِ واجبِ الوجود اشْتَقُّوا له من اسمِ الجنسِ علمًا زيادةً في الدلالةِ على أَنَّهُ الحقيقُ بهذا الاسمِ ليصيرَ الاسمُ خاصًا به غيرَ جائزِ الإطلاقِ على غيره على سَنَنِ الأعلامِ الشخصية، وأراهم أبدعوا وأعجبوا إذ جعلوا علمَ ذاتِه تعالى مشتقًا من اسمِ الجنسِ المؤذن بمفهوم الألوهية تنبيهًا على أن ذاته تعالى لا تستحضر عند واضع العَلَمِ وهو الناطقُ الأول بهذا الاسم من أهل اللسان إلا بوصف الألوهية وتنبيهًا على أنه تعالى أَوْلَى مَنْ يُؤَلَّهُ

(١) سورة القصص، الآية: ٣٨.

(٢) اشتقاق أسماء الله ٣٩، ٤٠.

(٣) سورة الأنبياء، من الآية: ٢٢.

(٤) سورة المؤمنون، من الآية: ١١٧.

(٥) سورة الفرقان، من الآية: ٤٣.

(٦) الدر المصون ١/٥٦، تفسير التحرير والتنوير ١/١٦٢، ١٦٣.

ويُعْبَدُ؛ لأنه خالقُ الجميع، فحذفوا الهمزة من الإله لكثرة استعمال هذا اللفظ . . . . . .

ونُزِّلَ هذا اللفظ في طوره الثالث منزلةَ الأعلام الشخصية، فَتَصَرَّفُوا فيه هذا التَّصَرُّفَ لينتقلوا به إلى طورٍ جديدٍ فيجعلُوه مثل عَلَمٍ جديدٍ"(١).

٢ – ذكر ابن مالك أنَّ القولَ بأن الهمزةَ قد حُذِفَت ابتداءً ثم أُدْغِمَت اللامان باطلٌ؛ "لأن حاصلَهُ ادِّعاءُ حَذْفِ فاءٍ بلا سبب ولا مشابهة ذي سبب من كلمةٍ ثلاثية اللفظ. فذكرُ الفاءِ تنبيهٌ على أنَّ حَذْفها أشدُّ استبعاداً من حذْفِ العينِ واللام؛ لأن الأواخرَ وما اتَّصَلَ بها أحقُّ بالتغيير من الأوائل . . . . . " هـ.

ولو رجعنا إلى مواضع حذف الهمزة فاءً لوجدنا أنها حُذِفَتْ تخفيفًا على غير قياس في جملة من الأفعال والأسماء. وقد نصَّ ابنُ مالك نفسُهُ على حذفها في بعض الأفعال بقوله:

وفاءُ (خُذْ) و(كُلْ) و(مُرْ) قد حُذفا ولا تَقِسْ، وتَمَّ (مُرْ) مُنْعَطِفَا

فالأصل في (خُذْ) و(كُلْ) و(مُرْ): (أُؤْخُذْ) و(أُؤْكُلْ) و(أُؤْمُر)؛ لأن بناءَ الأمر من الثلاثي بأن يُحذَفَ منه حرفُ المضارعة، ويجعل مكانه همزة وصل إن سكن ما بعده. ولما كثر استعمال هذه الأفعال الثلاثة خُفِّفَتْ بالتزام حذفِ الفاءِ وإنْ كان لا يقتضيه قياسٌ.

واخْتُصَّ (مُرْ) بردِّ فائه مع واو العطف(٢)، وقد جاء في التنزيل قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾(٣).

كذلك حُذفت الهمزة –وهي فاءُ الكلمة– في بعض الأسماء على غير قياسٍ،

(١) تفسير التحرير والتنوير ١/١٦٣، ١٦٤.

(٢) شرح الكافية الشافية ٤/٢١٦٦ وما بعدها.

(٣) سورة طه، الآية: ٣٢.

وجاز ذلك لكثرة الاستعمال، فمما جاء من ذلك قولهم: وَيْلِمِّه، وأصله: ويل لأمه؛ فحذفت إحدى اللامين وهمزة (أم). وحُكي عنهم قولهم: يا با فلان، ولا با لك، ومَنْ مك؟ ومن بوك؟ ومن بلك؟ يريدون: يا أبا فلان، ولا أبالك، ومن أمك؟ ومن أبوك؟ ومن إبلك؟ ومن ذلك أيضًا قراءة ابن كثير: ﴿إنها لَحْدَى الكبر﴾(١).

٣ – أما ردُّ ابن مالك لقولي النحاة في حذف همزة (إله)، وهما: إما أن تكون قد حُذِفَتْ على غير قياس، أو أنها حُذِفَتْ قياسًا بعد نَقْلِ حركتها لبطلانهما عنده، فقد أورد الصبان الجواب عن هذا الاعتراض وهو: " أن نَقْلَ الحركةِ إلى مثل ما بعدها وتسكين المنقول إليه لأجل تخفيف الكلمة بالإدغام مغتفرٌ، و(أل) لما كانت عوضًا عن الهمزة صارت بمنزلتها، فهي كالجزءِ مع أنها كالجزءِ مما بعدها ولو لم تُجعلْ عوضًا. ولا مانع من جعْلِ الإدغام مع تقدير ثبوت الفاصل بين المثلين من خواصِّ هذا الاسم الشريف. وقيل حُذفت الهمزةُ على غير قياس إذ حذفها القياسي بعد نقل حركتها، واختاره السيد الجرجاني قال: بدليل لزوم الإدغام؛ لأن المحذوف اعتباطًا كالمعدوم، فالتقى المثلان، بخلاف المحذوف لعلة تصريفية فكالثابت. وقد علمت جوابه "(٢).

٤ – ما ذكره ابنُ مالك من أنه لو كان أصلُ لفظ الجلالة (إلهًا)، والألفُ واللامُ عوضًا من الهمزة لم يُجمع بين العِوَضِ والمعَوَّضِ منه في الحذف في قولهم: لاهِ أبوك. يرده ما نقله بعضُ علماءِ العربية من كونها لغةً مسموعةً عن بعضِ العرب، حُذِفَتِ الألفُ واللامُ فيها على سبيل الشذوذ.

(١) سورة المدثر، الآية: ٣٥.

انظر: مختصر في شواذ القرآن ١٦٥. قال أبو حيان في البحر المحيط ٨/٣٧٨: "وقرأ الجمهور (لإحدى) بالهمز، وهي منقبلة عن واو وأصله: (لوحدي)، وهو بدل لازم. وقرأ نصر بن عاصم وابن محيصن ووهب بن جرير عن ابن كثير بحذف الهمزة، وهو حذف لا ينقاس".

(٢) رسالة البسملة ٢٣ (ب)، ٢٤ (أ).

وبعد الانتهاء من البحث في أصل هذا الاسم الشريف والفصل في الخلاف في هذه المسألة مدعمًا بالأدلة العلمية فإنه لابد من الإشارة بإيجاز إلى نوع (أل) في لفظ الجلالة إتمامًا للفائدة.

لقد أورد د. محمد عبدالله آراء العلماء في نوع (أل)[1]. والذي يرجح عندي ـ والله أعلم ـ الآتي:

أن (أل) في الإله – قبل حذف همزة إلاه – للغلبة؛ وذلك مبنيٌّ على ما ذكره بعض العلماء من أن لفظ (إلاه) المجرد من الألف واللام أطلقه العرب على المعبود بحقٍّ وعلى غيره من أصنامهم؛ لأنهم كانوا يرونها حقيقةً بالعبادة. أما الإله بالتعريف فإنه لا يطلق إلا على المعبود بحقٍّ، ولم يوقف على أن العرب أطلقوه – بهذا اللفظ نفسه– على أحد من أصنامهم.

وأما (أل) في لفظ الجلالة (الله) – بعد حذف همزة إلاه – فهي عوض عن الهمزة المحذوفة تخفيفًا، وذلك خلافًا لما ذكره د. محمد عبدالله؛ إذ بعد أن أشار

---

(١) صنف د. محمد عبدالله آراء العلماء في نوع (أل) على النحو التالي :

الرأي الأول : رأي الكوفيين وهو أن الألف واللام في لاه للتفخيم والتعظيم لا للتعريف، والتعريف إنما هو بالعلمية.

الثاني : رأي المازني والخطابي والسهيلي وشيخه ابن العربي وهو أن (أل) أصلية غير زائدة، فهي من بنية الكلمة وليست للتعريف.

الثالث : أنها للعهد وهو رأي الزركشي والرضي الاستراباذي.

الرابع : رأي الخليل وسيبويه والزمخشري والفارسي وغيرهم أنها في لفظ الجلالة (الله) بدل من الهمزة المحذوفة وعوض منها وذلك بناء على أن أصله (إلاه).

الخامس : رأي أبي حيان والفيروز أبادي وهو أنها للغلبة إذ (الله) لا ينطلق إلا على المعبود، فصار كالنجم للثريا.

الرأي السادس : أنها في لفظ الجلالة للتعريف إن قيل بأنه مشتق، وزائدة إن قيل بأنه غير مشتق، وهو رأي السمين الحلبي.

انظر : رسالة في لفظ الجلالة ٦١ – ٦٤.

إلى أن مذهبَ الخليل وسيبويه والزمخشري والفارسي وغيرهم أنَّ الألفَ واللامَ بدلٌ من همزة (إلاه) وخلفٌ منها وعوضٌ عنها قال: " ويؤخذ عليه أنه لو كان كما قال لم يكن حرفُ التعريف عوضًا عن الهمزة لما يلزمه من الجمع بين العِوَضِ والمعوض"(١). وواضح من كلامه هذا تأثره بالجوهري؛ حيث ذكر قول الجوهري نفسه وقد تقدمت الإشارة إليه.

ويمكن أن يجاب على ما ذكره د. محمد عبدالله بما ردَّ به ابنُ يعيش على الجوهريِّ وهو أنَّ الألفَ واللامَ دخلتْ على لفظ (إله) للتعظيم ودفع الشياع الذي ذهبوا إليه من تسمية أصنامهم وما يعبدونه آلهة فصار (الإله)، وليس هو الذي وقع فيه التعويض حتى يمتنع الجمع بين (أل) والهمزة، بل هو اللفظ الذي قبل التعويض. أما ما وقع التعويض فيه فهو لفظ الجلالة (الله) ولا همزَ فيه.

الخاتمة:

وبعد هذا البحث الموسع في أصل هذا الاسم الشريف لابد من عرض أبرز ما تضمنه البحث بإيجاز:

لقد ذهبت طائفة من العلماء من بينهم أكثر الأصوليين والفقهاء إلى أن لفظَ الجلالة اسمٌ مرتجلٌ للعلمية غيرُ مشتقٍّ كأسماء الأعلام للعباد، وهو موضوعٌ له تبارك وتعالى، ولم يوافقهم ابنُ عصفور وابن قيم الجوزية وابن عاشور في ذلك.

وقد ورد هذا القول في بعض المصادر منسوبًا إلى الخليل وسيبويه، وفيه نظر؛ لأن لفظ الجلالة عندهما مشتقٌ.

ولا ضير - والله أعلم - بالقول بالاشتقاق في لفظ الجلالة (الله) كسائر أسمائه

(١) رسالة في لفظ الجلالة: ٦٣.

الحسنى كالسميع والبصير والغفور والرحيم والقدير..... والمقصود بالاشتقاق هنا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى لا أنها متولدةٌ منها تولُّدَ الفرعِ من أَصْلِه.

وفي مذهب القائلين باشتقاقه قولان :

الأول: أن أصلَهُ (لاهٌ)، وألفه منقبلة عن واوٍ أو ياءٍ. وقد نقل جماعة من العلماء هذا القول دون نسبته إلى أحدٍ، ولعلهم لم يكونوا على يقين بأن أحداً من العلماء ذهب إليه. وعزاه بعضهم إلى البصريين بعامةٍ، ونسبه كثيرون إلى الخليل وسيبويه على أنه أحدُ قوليهما، وتابعهم في ذلك كثير من المحدثين.

ويبدو لي – والله أعلم– أن الزجاج هو أولُ من نسب هذا القولَ إلى الخليلِ وسيبويه، وقد تأثر مَنْ جاء بعده بما ذكره، ومن هؤلاء: الزجاجي، وابن خالويه، والجوهري، والثمانيني، وابن سيدة، وأبو القاسم الأصبهاني، وابن الشجري، والقرطبي، وابن كثير، وابن منظور، والصفاقسي، والفيروز أبادي،..... وغيرهم.

وقد حذا كثيرٌ من المحدثين حذوَ الزجاجِ ومن تابعه في نسبة هذا القول إلى سيبويه أمثال: الشيخ محمد عبدالخالق عضيمة، ود. محمد محمود الطناحي، والأستاذ محمد علي النجار، ود. إبراهيم البعيمي، ود. محمد إبراهيم محمد عبدالله..... وآخرون.

* والذي تبينَ لي بعد الرجوع إلى كتاب العين وكتاب سيبويه أن الخليل وسيبويه لم يذكرا أَنَّ (لاهًا) هي أصلُ لفظ الجلالة خلافًا لما نقله الزجاج عنهما، حيث نصَّا صراحةً على أنها لغةٌ مسموعةٌ عن العرب، إنما أصلُهُ عندهما هو (إلاهٌ). بل إنَّ المبردَ – وهو أستاذُ الزجاجِ – قد نقل في المقتضب عن سيبويه أن أصلَ لفظ الجلالة هو (إلاهٌ)، ولم يُشرْ إلى أَنَّ له قولاً آخر في هذه المسألة. والمبرد

ممن حرص على الأخذِ من كتاب سيبويه.

القول الثاني: أن أصله (إلاه)، ويندرج تحت هذا القول قولان:

الأول: أن همزةَ (إلاهٍ) منقلبةٌ عن الواو، فأصله (ولاه)، فهو من الوله بمعنى تحير. ثم نُقل إلى (إلاه) بإبدال الواو المكسورة همزةً. ثم أدخلوا عليه الألف واللام وحذفوا الهمزة. وأدغموا اللامين، وهذا قولٌ مردودٌ.

(ويبدو لي -والله أعلم- أن الزجاج أيضًا هو أولُ من أشارَ إلى هذا القولِ إلا أنه لم ينسبْهُ إلى أحدٍ، ثم تناقله عنه من جاءَ بعده. وقد وردَ في كثيرٍ من المصادرِ منسوبًا إلى الخليلِ، وتابعهم من المحدثين د. محمد عبدالله فنسبه إليه أيضًا. في حين أننا نجدُ الخليلَ نفسَهُ يوردُ لفظَ الجلالةِ في كتابه العين تحت مادة (أ ل هـ) ولم يشر إلى أنَّ همزتَهُ أصلُها واوٌ. وكذلك لم ينقله عنه تلميذُهُ سيبويه في الكتاب. وهو ممن اخْتُصُّوا بملازمته وصحبته والأَخْذِ عنه. وأوردَ بعضُ العلماء هذا القول دون نسبته إلى أحد.

وقد ذكر أبو علي الفارسي أنه لم يعلم من النحويين بصريهم ولا كوفيهم من ذهب في هذا الاسم إلى أنه من الوله، وإنما ذهب إليه من ليس من أهل النظر في العربية، لوضوح خطأ القول بذلك فيه من جهة اللفظ..... فللخطأ الظاهر من جهة اللفظ لم يذهب إلى هذا القولِ نحويٌّ.

الثاني: أن همزةَ (إلاهٍ) أصليةٌ، وهو قولُ الخليلِ وسيبويهِ ووافقهم جماعةٌ من العلماء.

وفي حذف همزة (إلاه) قولان: أحدهما أَنَّ حذفها قياسيٌّ، والآخر أنها حُذفتْ تخفيفًا على غير قياس.

والراجح -والله أعلم- أن أصلَ لفظ الجلالة هو (إلاهٌ) بهمزة أصلية، ثم دخلت

عليه الألف واللام فحذفت الهمزةُ وصارت الألفُ واللامُ عوضًا منها، وإذا كانت للعوض لم يجز أن يكون حذفُ الهمزةِ على الحدِّ القياسي، لأنها لو كانت محذوفةً على هذا الحدِّ فهي وإنْ كانت ملقاةً من اللفظ باقيةٌ في النيةِ، ومعاملةٌ معاملةَ المثبتةِ غير المحذوفة، فلا يلزم من حذفها عوض؛ لأنها في تقدير الإثبات. وفي تعويضهم من الهمزة ما عوضوا دليلٌ على أنَّ حذفها ليس على حدِّ القياس.

والذي يدل على أنَّ الألف واللامَ في لفظ الجلالة (الله) عوضٌ من همزة (إلاه) قطعها في النداء والقسم في نحو: يا ألله اغفر لي، وأفألله ليفعلنَّ.

ولابن مالك اعتراضٌ على القول بأن أصلَ لفظِ الجلالةِ (إلاه) لأسباب ذكرها بالتفصيل في شرحه للتسهيل، واكتفى د. محمد عبدالله بالإشارة إليه فقط، وقد أوردتُ اعتراضَ ابن مالك وذكرتُ الردَّ عليه مدعمًا بالأدلة العلمية.

وللعلماء في (أل) في لفظ الجلالة أقوال، نقلها د. محمد عبدالله في كتابه، ولعل أرجحها -والله أعلم- أنها في (الإله) -قبل حذف الهمزة- للغلبة؛ وذلك مبنيٌّ على ما ذكره بعض العلماء من أن لفظ (إلاه) المجرد من الألف واللام أطلقه العرب على المعبود بحق وعلى غيره من أصنامهم؛ لأنهم كانوا يرونها حقيقةً بالعبادة. أما الإله -بالتعريف- فإنه لا يطلق إلا على المعبود بحقٍّ، ولم يوقف على أن العرب أطلقوه -بهذا اللفظ نفسه- على أحدٍ من أصنامهم.

وأما (أل) في لفظ الجلالة - بعد حذف الهمزة - فهي عوض عن الهمزة المحذوفة تخفيفًا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مصادر البحث ومراجعه

١- اشتقاق أسماء الله للزجاجي / تحقيق د. عبدالحسين المبارك. مطبعة النعمان، النجف ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

٢- إعراب القرآن للأصبهاني الملقب بقوام السنة / قدمت له ووثقت نصوصه ووضعت فهارسه د. فايزة المؤيد ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٣- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس / تحقيق د. زهير زاهد. عالم الكتب. الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

٤- أمالي ابن الشجري لابن الشجري / تحيق د. محمود محمد الطناحي. مكتبة الخانجي بالقاهرة. الطبعة الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٥- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن لأبي البقاء العكبري. دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٦- الانتصار لسيبويه على المبرد لابن ولاد / دراسة وتحقيق د. زهير عبدالمحسن سلطان. مؤسسة الرسالة ببيروت الطبعة الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٧- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة الثانية. ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.

٨- إيضاح إبداع حكمة الحكيم في بيان بسم الله الرحمن الرحيم للشيخ محمد أحمد عليش. شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م.

٩- بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية / عُني بتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله إدارة الطباعة المنيرية. دار الكتاب العربي ببيروت.

١٠- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي/ تحقيق محمد النجار. المكتبة العلمية بيروت.

١١- البيان في غريب إعراب القرآن للأنباري/ تحقيق د. طه عبدالحميد طه. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

١٢- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي. المطبعة الخيرية بمصر. الطبعة الأولى ١٣٠٦هـ.

١٣- تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري/ تحقيق أحمد عبدالغفور عطار. دار العلم للملايين. بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.

١٤- تفسير أسماء الله الحسنى إملاء أبي إسحاق الزجاج/ حققه ونشره أحمد الدقاق. مطبعة محمد هاشم الكتبي. ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

١٥- تفسير البحر المحيط لأبي حيان/ دار الفكر. الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

١٦- تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل/ إعداد وتحقيق خالد العك، ومروان سوار. دار المعرفة بيروت. الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٧- تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور. الدار التونسية للنشر، تونس. ١٩٨٤م.

١٨- تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

١٩- تفسير سورتي الفاتحة والبقرة لأبي المظفر السمعاني/ دراسة وتحقيق عبدالقادر منصور. مكتبة العلوم. المدينة المنورة. الطبعة الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٢٠- تفسير القرآن العظيم لابن كثير/ كتب هوامشه وضبطه حسين زهران. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢١- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي/ دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٢٢- تهذيب اللغة للأزهري/ تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي ومحمود فرج العقدة ومراجعة علي محمد البجاوي. الدار المصرية للتأليف.

٢٣- جامع البيان في تفسير القرآن للطبري/ دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت. الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

٢٤- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي/ الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ- ١٩٥٢م.

٢٥- حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي. دار صادر. بيروت.

٢٦- خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب للبغدادي/ تحقيق وشرح عبدالسلام هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة. الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢٧- الخصائص لابن جني/ تحقيق محمد النجار. دار الهدى للطباعة والنشر ببيروت. الطبعة الثانية.

٢٨- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي/ تحقيق علي معوض، وعادل عبدالموجود، ود. جاد مخلوف جاد، ود. زكريا النوتي. دار الكتب العلمية ببيروت. الطبعة الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٢٩- ديوان الأعشي/ دار صادر ببيروت.

٣٠- ديوان حسان بن ثابت. دار صادر ببيروت.

٣١- ديوان الحطيئة/ دار صادر ببيروت.

٣٢- ديوان رؤبة بن العجاج/ تصحيح وترتيب وليم بن الورد البروسي. دار الآفاق الجديدة ببيروت. الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

٣٣- ديوان عبدالله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره للدكتور وليد قصاب. دار العلوم للطباعة والنشر. الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

٣٤- ديوان النابغة الذبياني/ تحقيق وتقديم فوزي عطوي. الشركة اللبنانية للكتاب ١٩٦٩م.

٣٥- رسالة في لفظ الجلالة الله / للدكتور محمد إبراهيم عبدالله. مطبعة الحسين الإسلامية. القاهرة. ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٣٦- رسالة فيما يتعلق بالبسملة من المسائل للصبان/ مخطوط. نسخة مصورة من قسم المخطوطات بالمكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. رقم المخطوط ٤٠٠,

٣٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

٣٨- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي/ المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بدمشق، وبيروت. الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

٣٩- شرح اختيارات المفضل صنعة الخطيب التبريزي/ تحقيق فخر الدين قباوة. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.

٤٠- شرح التسهيل لابن مالك/ تحقيق د. عبدالرحمن السيد، ود. محمد المختون. هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. الطبعة الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٤١- شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري/ دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٤٢- شرح التصريف لعمر بن ثابت الثمانيني/ تحقيق د. إبراهيم بن سليمان البعيمي- مكتبة الرشد بالرياض- الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٤٣- شرح الحماسة للمرزوقي / نشره أحمد أمين وعبدالسلام هارون. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة. الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ.

٤٤- شرح قواعد الإعراب لابن هشام لشيخ زادة / دراسة وتحقيق إسماعيل مروة. دار الفكر المعاصر بيروت. دار الفكر بدمشق. الطبعة الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٤٥- شرح الكافية الشافية لابن مالك / تحقيق د. عبدالمنعم هريدي. دار المأمون للتراث. الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

٤٦- شرح الكافية في النحو لرضي الدين الاستراباذي / دار الكتب ببيروت. الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

٤٧- شرح كتاب سيبويه للسيرافي / مخطوط مصور عن النسخة المحفوظة بدار الكتب القومية رقم ١٣٧ نحو.

٤٨- شرح كتاب سيبويه للسيرافي / تحقيق: د. رمضان عبدالتواب ود. محمود فهمي حجازي ود. محمد عبدالدايم. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م.

٤٩- شرح المفصل لابن يعيش / عالم الكتب ببيروت، مكتبة المتنبي بالقاهرة.

٥٠- شرح الملوكي في التصريف لابن يعيش / تحقيق د. فخر الدين قباوة. المكتبة العربية بحلب.

٥١- طبقات النحويين واللغويين للزبيدي / تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر.

٥٢- غرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي بحاشية جامع البيان للطبري / دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت. الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

٥٣- فتح القدير الجامع بين فَنَّي الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٥٤- فهارس كتاب سيبويه ودراسة له للشيخ محمد عبدالخالق عضيمة. مطبعة السعادة. الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٥٥- القاموس المحيط للفيروز أبادي / تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ببيروت. الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٥٦- الكتاب لسيبويه / تحقيق عبدالسلام هارون. عالم الكتب.

٥٧- كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب، لأبي علي الفارسي / تحقيق وشرح د.محمود الطناحي. مكتبة الخانجي بالقاهرة. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٥٨- كتاب العين للفراهيدي / تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي. منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ببيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٥٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري / شركة الحلبي. الطبعة الأخيرة ١٣٨٥هـ.

٦٠- لسان العرب لابن منظور. دار صادر ببيروت. الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٦١- المبدع في التصريف لأبي حيان الأندلسي / تحقيق وشرح وتعليق: د. عبدالحميد السيد طلب. مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع. الكويت. الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٦٢- مجالس العلماء لأبي القاسم الزجاجي / تحقيق عبدالسلام هارون. مكتبة الخانجي بالقاهرة. دار الرفاعي بالرياض. الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٦٣- المجيد في إعراب القرآن المجيد لإبراهيم محمد الصفاقسي/ تحقيق موسى محمد زنين- منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي، طرابلس. الطبعة الأولى ١٩٩٢م - ١٤٠١هـ.

٦٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي/ تحقيق عبدالسلام عبدالشافي محمد. دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٦٥- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه/ عني بنشره. ج. براجشتراسر - مكتبة المتنبي بالقاهرة.

٦٦- المخصص لابن سيدة/ المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق بمصر. الطبعة الأولى ١٣٢١هـ

٦٧- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي/ دار الفكر.

٦٨- المسائل البصريات لأبي علي الفارسي/ تحقيق ودراسة د. محمد الشاطر أحمد محمد أحمد. مطبعة المدني بمصر. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٦٩- المسائل الحلبيات لأبي علي الفارسي/ تقديم وتحقيق د. حسن هنداوي. دار القلم بدمشق، دار المنارة ببيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٧٠- مشكل إعراب القرآن للقيسي/ تحقيق د. حاتم الضامن. مؤسسة الرسالة ببيروت. الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.

٧١- معاني القرآن للفراء/ عالم الكتب. بيروت. الطبعة الثانية ١٩٨٠م.

٧٢- معاني القرآن وإعرابه للزجاج/ شرح وتحقيق د. عبدالجليل شلبي. دار الحديث بالقاهرة. الطبعة الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٧٣- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/ وضعه محمد فؤاد عبدالباقي دار إحياء التراث العربي ببيروت.

٧٤- معجم مقاييس اللغة لابن فارس/ تحقيق وضبط عبدالسلام هارون. دار الكتب العلمية. اسماعيليان نجفي. إيران.

٧٥- المقتضب للمبرد/ تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة. عالم الكتب، ببيروت.

٧٦- المقرب لابن عصفور/ تحقيق أحمد الجواري وعبدالله الجبوري. الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

٧٧- الممتع في التصريف لابن عصفور/ تحقيق د. فخر الدين قباوة. دار المعرفة ببيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٧٨- نتائج الفكر في النحو للسهيلي/ تحقيق د. محمد البنا. دار الاعتصام بالقاهرة. الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٧٩- نزهة الطرف في علم الصرف لابن هشام/ تحقيق ودراسة د. أحمد عبدالمجيد هريدي. مكتبة الزهراء. القاهرة ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٨٠- نور الغسق في بيان هل اسم الجلالة مرتجل أم مشتق لمحمد تقي الله بن محمد مصطفى ماء العينين/ جزء من كتاب النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية. مطبعة الجمالية. القاهرة ١٣٣٠هـ.

* * *